معهد الحياة

نشأته وتطوره

للشيخ سعيد بن بلحاج شريفي (الشيخ عدون)
(رحمه الله)
ولد: 1319 هـ / 1902 م - توفي: 1425 هـ / 2004 م

الطبعة الثانية

نشر جمعية الحياة وجمعية التراث
القرارة - غرداية - الجزائر
1430 هـ - 2009 م

معهد الحياة

نشأة وتطوره

للشيخ سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدّون)

(رحمه الله)

(ولد: **1319**هـ \ **1902**م . توفي: **1425**هـ \ **2004**م)

(الطبعة الثانية)

نشر جمعية الحياة و جمعية التراث

القرارة - غرداية - الجزائر

1429هـ / 2008 م

الطبعة الأولى

1409هـ/ 1989م

الطبعة الثانية

شوال 1429هـ/ أكتوبر 2008م

بمناسبة مهرجان الوفاء

لتدشين معهد الحياة وتأبين الشيخ عدّون (رحمه الله)

قام بضبط ومراجعة هذه الطبعة:

فضيلة الشيخ بالحاج بن عدّون شريفي

د. محمد بن صالح ناصر

د. محمد بن قاسم ناصر بوحجام

أ. صالح بن أحمد حدبون

إعداد وإخراج:

أ. محمد بن أحمد جهلان

محفوظة جميع الحقوق

الإيداع القانوني رقم:

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

قبل عشرين سنة مضت، ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب الذي هو من تأليف شيخنا وأستاذنا الشيخ عدُّون (رحمه الله)، كما هو معروف، وهاهي ذي الطبعة الثانية تظهر وليس فيها من زيادة أو نقصان سوى ما يتطلبه التصحيح والتنقيح الضروريان.

ويشاء الله أن تظهر هذه الطبعة موازاة مع مناسبة عظيمة لها ارتباط وثيق بموضوع الكتاب؛ وهي مناسبة تدشين معهد الحياة الجديد، هذا الصرح العظيم الذي وضع حجر الأساس فيه شيخنا المرحوم، ورعاه سنين تخطيطًا وتسييرًا.

ولئن غاب شيخنا عن حفل تدشينه فهو ولا شك حاضرٌ في كلِّ حجر من بنائه السامق، بل هو حاضر أبدًا في كلِّ زواياه وفصوله، فشخصه ماثل في أبهائه، وصوته مجلجل في أفنائه.

فإنَّ أمثال الشيخ عدُّون (رحمه الله) من مشايخنا الأفاضل خالدون في القلوب والضمائر بأعمالهم لا بأقوالهم، شاخصون في

ملامح تلامذتهم الأبرار بسيرتهم واستقامتهم على نهجه الإسلامي، إن شاء الله.

على أنَّ العبرة ليست في البنيان العالي المشيد، وإنما هي في القيم والمبادئ التي زرعها وسقاها أبونا الفقيد.

فنم شيخنا هانئًا في روضتك، مع الصديقين والشهداء والصالحين، فأنَّ الأمانة – بحول الله – بيد مخلصة أمينة من أبنائك الأبرار، وتلامذتك الأخيار من المهاجرين والأنصار...

الجزائر في 27 رمضان 1429هـ
27 سبتمبر 2008م

الدكتور: محمد صالح ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

عندما شرفني أستاذي الجليل، وأبي الروحي، فضيلة الشيخ عدُّون، بكتابة مقدمة لهذه المذكرات، وجدتني في حيرة من أمري؛ فأنا لست مؤهَّلا لهذا التشريف، فهناك من المشايخ والأساتذة من هو أولى به مني، ولكن هل أملكُ الجرأة على أن أرُدَّ طلبا من أستاذي وشيخي الذي تُطوِّق مننُه التربوية والتثقيفية عنقي؟ وهكذا وجدتني ألبِّي طلبه على استحياء وتعثُّر، لأنه ليس مما تعوَّده الناس أن يقدم التلميذُ لأستاذه، أو الابنُ لأبيه، بله الأقلُّ علما وتجربة لمن أفنى عمره الطويل تجربة وعلما.

مهما يكن من أمر، فإن هذا التشريف من طرف أستاذنا يدلُّ مرة أخرى على ما يتحلَّى به من تواضع جمٍّ، جعله يتعامل مع أبنائه التلاميذ كما يتعامل مع زملائه وأصدقائه، ولطالما تغلَّبت في نفسه صفةُ الأبوَّة الحانية على سلوك الأستاذية الصارمة.

إنَّ هذا البحث القيِّم الذي يقدِّمه فضيلة شيخنا اليوم لأوَّل مرَّة عن نشأة معهد الحياة وتطوره ليضع بين أيدي الباحثين والدارسين والمؤرِّخين وثيقة تاريخية من أهم الوثائق وأصدقها،

لأنها تصدر عن إنسان عايش تاريخ هذه النشأة العلميَّة الأصيلة، من إرهاصاتها إلى أوجِ رقيها وتطوُّرها. وهي إلى جانب ذلك شهادة رصينة أمينة من أحد الذين وضعوا حجر التأسيس في بنائها السامي وتابع بناءها المتعالي بنبضات قلبه، وحبات عرقه؛ لم تغفُ عنها عينُه لحظة من ليل أو نهار.. وهي فوق هذا وذاك مذكراتٌ حيَّة ناطقة من أبرز المؤسسين لها، المخططين لأهدافها وغاياتها.

ومن دلائل الصدق في معلومات هذا البحث هذا الأسلوب الذي اختاره فضيلة الشيخ؛ وهو أشبه ما يكون بأسلوب المذكِّرات واليوميات، فهو حين اختاره كان مدفوعا بإحساس داخلي لا شعوري، مردُّه الحرصُ على تتبّع الجزئيات والتفاصيل، محافظة على الأمانة التَّاريخية، بعيدا عن الأهواء والأغراض.

ولعلَّ بعض القرَّاء المتعجِّلين لن يرضيهم هذا التقصِّي الدقيق للجزئيات التي تعمَّد فيها الحكاية والسَّرد، وسمي الأشخاص بأسمائهم والوقائع بأماكنها، وتناول فيها الذكريات بشيء من التفصيل مما يحسبونه تطويلا مملاًّ، وإطنابا لا داعي له، ولكنَّهم سيعذرون المؤلِّف الشيخ عدُّون حين يدركون أنَّ الدافع إلى كلِّ هذا هو الحرص على ذكر الحقائق التاريخيَّة لا أقل ولا أكثر.

والواقع إنَّنا لا نُعدُّ مبالغين إذا قلنا: إنَّ فضيلة الأستاذ الشيخ عدُّون هو العمود الفقري لهذه المؤسَّسة التعليمية في كلِّ مراحلها التي مرَّت بها، فهو المخطِّط، والرَّاعي، والموجِّه والمنفِّذ ماديًا وأدبيًا. ولكن ما جُبل عليه من تواضع ونكران للذَّات جعلته يتغاضى عن تقديم كثيرٍ من الحقائق، أو هو في أفضل حالاته يذكرها اقتضابا، ويمرُّ عليها سريعاً.

إنَّ الذين تخرَّجوا في هذه المؤسَّسة العلمية العظيمة من لدُن تأسيسها سنة 1925م حتَّى يومنا هذا يعترفون بالآثار الروحية والمعنوية الأصيلة، التي تركَتْها في أعماق نفوسهم شخصيةُ أستاذنا الشيخ عدُّون المهيبة؛ إخلاصًا وورعًا وتفانيًا وتضحية، وحبًّا وغراما للغة القرآن ا لكريم، والدين الإسلامي الحنيف.

إنَّ المبدأ الذي ما فتئ الشيخ عدُّون يغرسه في أبنائه الطلاَّب، منذ يومهم الأوَّل في هذه المؤسسة وهم يجلسون أمامه في درس (الأخلاق)، حتَّى حفلة تخرُّجهم هو أنَّ طلب العلم ينبغي أن يكون الهدف منه رضا الله سبحانه وتعالى أوَّلا، ونفع المجتمع الإسلامي ثانيًا، وما كان الشيخ في حاجة، إلى أن يؤكِّد ذلك بلسان فصيحٍ أو أدب بليغ، لأنه كان يعظهم بسلوكه قبل أقواله. لقد تجسَّد في شخصيته بحقٍّ وصدق الشعار الذي كان يحفِّظه للطلاَّب،

ويروّضهم على تطبيقه في جمعياتهم الأدبيَّة والتربويَّة ألا وهو: «**الخلق قبل الثقافة**» و«**مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد**». وهذان الشعاران يهدفان أساسا إلى غرس الفضائل الإسلامية في نفوس النشء الصاعد حتَّى يتوجَّه في كلِّ أعماله إلى سعادة الدنيا والآخرة، إذ الشعار الأول يدعوه إلى إصلاح نفسه قبل إصلاح الآخرين، ليكون القدوة والمثل، كما يدعوه الشعار الثاني إلى التعالي على الأخلاق الفردية الأنانية، فيكون علمُه نفعا لأمَّته ومجتمعه، قبل أن يكون الغرضُ منه نفع نفسه.

إنَّ من أهمِّ عوامل نجاح هذه المؤسَّسة العلمية التربوية، التي تجاوزت في عمرها اليوم خمسا وستِّين سنة حافلة بالمآثر والمفاخر، أن يكون فضيلة الشيخ عدُّون مديرًا لها، فإنَّ الخلال والخصال العالية التي يتحلَّى بها بوَّأته ليكون بحقٍّ المعلِّم القدوة؛ إخلاصا وانضباطا، حزمًا ونظاما، جدًّا واجتهادًا، أعطى لهذه المؤسَّسة كلَّ ما يملك من نفس ونفيس، حتَّى غدت جزءًا من نفسه، وكائنًا حيًّا، اسمُ الشَّيخِ عدُّون أحدُ أسمَائها. ومن هنا كان طلاَّب المعهد يرون فيه الأبَ الحاني حبًّا وإخلاصًا، والمدير الحازم انضباطًا ونظامًا، والمربِّيَ النَّاجح سلوكًا وأخلاقًا.

فمَن مِن أبناء المعهد ينسى كيف كان الشيخ عدُّون حريصًا أشدَّ الحرص على محاسبة الطلاَّب على صلاة الجماعة حسابًا دقيقا، ولاسيما صلاة الفجر، التي كان يربِّينا على الالتزام بها والمواظبة عليها، إدراكا منه لما يتركه هذا السُّلوك في نفس النشء من خصال حميدة، بعضها الاستقامة والانضباط وزرع الروح الجماعية في النفوس، إنَّ هذا الإحساس يدركه ويتعمَّقه كلٌّ من رأى الشيخ عدُّون وهو يُمسك عصا محاسبةِ من لم يدرك الفجر مع الجماعة والدُّموع تترقرق في عينيه!...

هذا المشهد الذي ما زال محفورًا في ذهني، وهو محفور في ذهن أغلب إخواني ولا شك، ما هو إلاَّ تجسيدٌ للقيم والفضائل التي بُنيت عليها نفسُه الكبيرة، حزمًا وتسامحًا، رحمة وشدَّة، عقلا يقظا وعاطفة رقيقة، ولعمري تلك من الخصال العظمى التي تصنع المربِّين الحقيقيِّين الذين تتطلَّع مؤسَّساتنا التعليمية إلى أمثالهم.

لو يُسأل آلاف المتخرِّجين من الطلاَّب، أو من النَّاس الذين يعرفون الشيخ عدُّون – وقد طوى اليوم في جهاده الرائع أكثر من ستِّين سنة – لو يُسألون عن أبرز خصال الشيخ عدُّون، وأهمِّ صفاته لما اختلفوا – على كثرتهم – حول القول بداهة إنَّه «الإخلاص».

إنَّ هذه الصفة في حدِّ ذاتها هي مفتاح شخصيته ونواة نفسه، وحبَّة قلبه، عليه تدور كلُّ صفاته الأخرى، ومنها تستمدُّ إشعاع الورع والتقوى، فتضيء كل جوانب نفسه، وتملأ بها أعماق مُعاشريه وعارفيه.

إنَّ الإخلاص وصفاء الطويَّة وعفَّة الضمير ونزاهة المقصد جعلت الشيخ عدُّون يحتلُّ من القلوب شغافها، ومن النفوس أعماقها، حتَّى قال فيه المرحوم شيخُنا بكلِّي عبد الرحمن قولته الحكيمة: «إنَّ الإخلاص يمشي على رجلين».

كنَّا ندرك – ونحن صغارَ السنِّ – خصلة نُكران الذَّات التي يتميَّز بها الشيخ عدُّون، ونحن نسمع ونرى تلك الشهرة الواسعة التي اكتسبها أستاذنا الإمام الشيخ بيُّوض (رَحِمَهُ اللهُ) في مجال الحركة الإصلاحية، إنَّ الناس داخل وخارج وادي ميزاب منبهرون بشخصية الزعيم والقائد الإمام الشيخ بيُّوض، ولكن القليل منهم فقط هم الذين يعرفون الجنديَّ المجهول الشيخ عدُّون، الذي رابط طوال حياته في الصَّفِّ الأمامي يجود بدمه وبأنفاسه، ويُعلي من مهجته وحشاشة قلبه بناءَ هذه المؤسَّسة السَّامي، ويصل ليله بنهاره في سبيل متطلَّباتها الماديَّة والمعنويَّة.

لقد كان الشيخ عدُّون وهو يسلُك هذا المسلك يقدِّم أمام أعيننا مثلاً رائعا لما يجب أن يكون عليه التلميذ من أستاذه تبجيلا وتقديرًا.

كنَّا صغارًا ولكنَّا كنَّا ندرك بعمق هذه المكانة التي يحتلُّها الشيخ عدُّون من المجتمع والحركة الإصلاحية، فيزداد في نفوسنا إجلالا وحبًّا، ويكبُر في أعيننا احتراما وتشريفا.

لقد عايش الشيخ عدُّون كلَّ المراحل التي مرَّ بها المعهد، وعاش في هذه السِّنين الطويلة مختلِف العقليات والمشارب، وصبر وصابر للمحن والمصائب، وبقي على الرَّغم من كلِّ ذلك الشيخ الذي يحتلُّ من النفوس حناياها، لأنَّه كان دومًا الأستاذ الذي يلجأ إليه الطلاب على مختلف السَّنوات والطَّبقات؛ ليحلَّ مشاكلهم التربوية والعائلية، متعاليا على الخلافات والنزاعات، في سبيل هدف نبيل وغاية مثلى. لقد كان يملك من الخصال ما أهَّله لذلك بجدارة واستحقاق.

إنَّ المطالع المدقِّق والقارئ اللَّبيب يتابع تلك المراحل والمناهج التي ما فتئ معهد الحياة يسعى إلى تطبيقها؛ سعيًا وراء التطور والرقي، يلحظ بجلاء كيف كان مدير المؤسَّسة، الشيخ عدُّون، يقف أبدا وراء هذا التطوير المستمر، بما يملكه من ذهنية

متفتِّحة، ونفس مرنة، ورغبة مِلحاحٍ في أن يكون المعهد أبدًا في مصاف الثانويات الناجحة تربويًّا وثقافيًّا، لا على مستوى القطر الجزائري فحسب، بل على صعيد العالم الإسلامي، ليؤدِّي رسالته النبيلة المنوطة به.

لقد عرفتُ بكلِّ تواضع أستاذي الشيخ عدُّون، وأنا طالبٌ بالمعهد ست سنوات، واقتربت منه أكثر وأنا أستاذٌ بالمعهد خمس سنوات، فما عرفت منه طوال هذه المدَّة إلاَّ أنَّه المشجِّع لكلِّ المبادرات السَّاعية إلى الرَّفع من مستوى معهد الحياة ماديًّا ومعنويًا، لا يتحجَّر على طريقة متَّبعة، ولا يجمد على مقرَّر معيَّن، ولا يتصلَّب لرأيه أو نظريته، كان يشجِّع بحماسة بالغة كلَّ المبادرات التي يتقدَّم بها الطلاب أو الأساتذة، عاملا دوما بالمثل القائل: «دعِ الزهور تتفتَّح» ولكنَّه بقدر تفتُّحه ذلك على المعاصرة والتطور، بقدر ثباته أمام كلِّ ما يُشتَمُّ منه ريح المساس بمقوِّمات الشخصية الإسلامية الأصيلة، لغة ودينًا، يصحبُه دوما إيمانٌ قويٌّ بالقيم والثوابت، ورأسٌ شامخٌ أمام العواصف التي كثيرا ما هبَّت من هنا وهناك.

بهذه الخصال العالية وبهذه النفس الكبيرة، نجح في تخريج آلاف الطلاب من مدرسة محمد ﷺ وبثِّهم في نواحي القطر

الجزائري، بل والعالم الإسلامي والعربي، يبلّغون الأمانة، ويجاهدون في سبيل الدَّعوة، وكلُّهم يحمل في قلبه ختمًا عليه اسم «شريف».

نسأل الله أن يمدَّ في أنفاس شيخنا الجليل حتَّى يحقِّق لهذه المؤسَّسة التعليمية ما تصبو إليه من ازدهار ورقي يجعلانها جديرة بأن تحتلَّ أبدًا مكانتها بين أهمِّ المؤسَّسات التعليمية في العالم الإسلامي. والله وليُّ التوفيق.

الجزائر في 1988/11/22

الدكتور: محمد صالح ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إنَّ أبرز مظهر يتجلَّى فيه الإصلاح الديني والاجتماعي وتظهر فيه حركته واضحةً هو العلم، إذ هو أصلُ كلِّ إصلاح ومنبعُه، وعلى ضوئه يسير كلُّ مصلح.

وأبرز بلدة في ميزاب نمت فيها حركة العلم وترعرعت في العهد الذِّي نؤرِّخه هي بلدة (القرارة)، التي تُعتبر بحقٍّ في هذا العهد عاصمة ميزاب العلميَّة، ومظهرُ هذه الحركة فيها هو (معهد الحياة)، وما سبقه من محاولات إنشاء الكتاتيب والمدارس، وما أحاط كلَّ ذلك من ظروف وعوامل داخليَّة وخارجيَّة.

لذلك سنبسط الكلام في نشأة هذا المعهد، والعوامل التي كوَّنته وأثَّرت فيه، والتطوُّر الذي طرأ عليه منذ نشأته إلى الآن. وسوف نتعرَّض للأسباب التي فرضت إنشاءه، وللأشخاص الذين عاشوا هذه الظروف وكانوا محور الحركة فيها.

إنَّ الباعث للحركة الإصلاحية بدأ من إصلاح التعليم وتطويره ليساير ويلائم الحياة المتطوِّرة، فإنَّ البقاء على حياة تجاوزها الوقت وعفا عليها الدَّهر لا يرضاها ولا يقول بها عاقل.

وأمانة التاريخ تُوجب علينا أن نذكر العاملين في هذه الحركة والقائمين بها، بما لهم وما عليهم، مؤيِّدين كانوا أو معارضين، مع تقديرنا واحترامنا لجانب الواقفين موقف المعارض في طريق هذا الإصلاح، اعتبارًا لحسن نواياهم ونُبل مقاصدهم، وتقديرا لمقامهم العلمي، واعترافا بفضلهم في خدمته، وتضحياتهم في سبيله، حسب ما يرونه طريقا صالحا يضمن لهم الوصول إلى الهدف النبيل.

وقد أفضى الجانبان – المؤيِّد والمعارض– إلى جوار الله، – كما سنُفضي جميعًا– ليجزيهم أحسن ما عملوا ويجزيَنا، فلا يسَعُنا الآن إلاَّ أن نزوِّدهم بالمغفرة والرَّحمة والرِّضوان.

وصفُنا لهذا المعهد وتأريخُنا له هو وصفٌ وتأريخٌ لأبرز جانب من حياة مؤسِّسه ومتعهِّده، والقائم عليه بالتدريس، والكفالة والرّعاية، زعيم حركة الإصلاح بميزاب، الإمام الشيخ إبراهيم بيُّوض (رَحِمَهُ اللَّهُ).

ليس المعهدُ مؤسَّسة جديدة لا علاقة لها بما قبلها ولا صلة بينها وبين حركة التعليم السَّابقة، وإنَّما هو امتدادٌ لهذه الحركة وتجديدٌ لها وتطوُّر. لهذا لا يسعُنا إلاَّ أن نلمَّ إلمامة مختصرة جدًا بمبدأ حركة العلم في القرارة حتَّى نصلها بالمعهد، لنعرف – كما قلنا – العوامل التي أوجدته، ونعرف كيف نشأ وتكوَّن.

الشيخ بالحاج بن كاسي

لم تكن للعلم حركة أو مظهر معروفٌ قبل الشيخ بالحاج بن كاسي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) المتوفَّى سنة 1256هـ 1830م.

اشتهر هذا الشيخ الجليل بالعلم والصَّلاح والتقوى، في وقت عمَّ فيه القرارةَ ظلامٌ دامسٌ من جهل وفتن وفساد، فكان أوَّل هلال بزغ في سمائها، فأزاح كثيرًا من ظلام الجهل السَّائد فيها، بنشر العلم وبثِّ تعاليم الدين، ومحاربة الفساد والفتن، فقوبل بالإنكار والإعراض من كثير من الجهلة والمغرضين، كما قوبل من كثير ممَّن سلمت طويَّتُهم بالاحترام والتقدير، والانصياع لدعوته وإصلاحاته، فكانت دارُه منارًا وملاذًا وأمنًا للناس.

لم يترك هذا الشيخ أثرًا بارزًا من تلاميذ وتآليف، وإنَّما ترك آثارًا طيبة في الإصلاح الديني، وشهرة مستفيضة في البلد، وذكرا عاطرا في التاريخ، وترك مكتبة حافلة بنفائس الكتب المخطوطة.

جاء بعده ابنُه الشيخ الحاج قاسم فكان مثل أبيه في الورع والصلاح والتقوى والشهرة، وإن لم يبلغ شأوه في العلم، فعكف على تعمير المكتبة بجمع الكتب وجلبها، ونسخ ما وصلت إليه يده من النفائس. ولا تزال هذه المكتبة قائمة إلى اليوم تضمُّ أكثر هذه النفائس.

الشيخ الحاج امحمد بن الشيخ الحاج قاسم

جاء بعده ابنه الشيخ الحاج امحمد بن الحاج قاسم، أوَّل من حمل اسم محمد في القرارة، إذ كان الناس قبله يتحاشَون من تسمية محمد احترامًا للنبي ﷺ وتقديسًا. وأوَّل قاضٍ في البلد، وهو شخصيةٌ بارزة لَمَّاعة في تاريخها.

نشأ في دار آل الشيخ، أوَّل دار عرفت بالعلم والصَّلاح، أخذ مبادئ العلوم عن أبيه، ثمَّ عن قطب الأئمة الشيخ اطفيش (ت: 1332هـ، 1914م).

حظي بمواهب كبرى في العلم والحزم والفصاحة وقوة العارضة، وكان مهيب الطَّلعة، مرهوب الجانب، كان رئيسًا لحلقة العزَّابة، وشيخًا للمسجد، تولَّى فيها دروس الوعظ والإرشاد، وفتح دارًا للعلم، ولكنَّها لم تُعمِّر طويلا لتفرُّغه لمهامه الكبرى من القضاء والفتوى وإصلاح ذات البين، وله علاوة على ذلك فلاحة واسعة يتولاَّها هو وأولاده.

تولَّى منصب القضاء – كما قلنا – فكان نادر المثال في عدله وصلابته في الحق، وشدَّته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربته للفساد والمفسدين.

وكان لعلمه وجهاده في الإصلاح العام وسيرته الرشيدة ورضا الناس عنه أبا القرارة وراعيها.

عاش في النصف الأخير من القرن الماضي (التاسع عشر)، ومات مُغتالا في وضح النَّهار بيدٍ شرِّيرة، في شهر جويلية من سنة 1319هـ،1901م، فراح إلى جوار ربِّه شهيدَ عدله وصراحته.

ولم يترك بعد ذلك أثرًا من تلاميذ وتآليف، ولكن ترك ما ترك جدُّه الشيخ بالحاج تاريخا حافلا بالمفاخر والمآثر، وفراغا كبيرًا في منصب القضاء، لم يستطع أحدٌ بعده أن يسدَّه.

الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى الأبريكي

ولد في القرارة في العقد السادس من القرن الماضي، وكان أبوه تاجرًا في (الجلفة) فلمَّا، شبَّ أخذه إلى تجارته فتربَّى في بادية (أولاد نايل)، تحت رعاية أصدقاء أبيه. وكان يتردَّد بين البادية وتجارة أبيه، وبينه وبين القرارة، فانطبعت فيه أخلاقُ البادية، من شجاعة وفصاحة وكرم.

ولما بلغ أشدَّه استقرَّ في القرارة، واشتغل بحفظ القرآن إلى أن استظهره. ثمَّ التحق بمعهد الشيخ محمَّد القاضي ولم يلبث فيه طويلا، فيما يظهر. ثمَّ التحق بمعهد الشيخ اطفيش في بني يزقن، فأقام فيه سنوات، فتخرَّج فيه بعلمٍ غزيرٍ في الشرعيات وفي فنون العربية. ثمَّ استقرَّ في القرارة ثانيةً في أواخر القرن التاسع عشر،

ليتفرَّغ للجهاد في نشر العلم؛ ففتح معهدًا فأمَّه نشءٌ كثير على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم. فعكف فيه يربِّي ويعلِّم، وينشئ الشباب والأجيال، فتخرَّج عنه طلبة مبرَّزون موزَّعون على ميادين العلم والإصلاح، وعلى رأسهم الشيخ بيُّوض.

ولهذا المعهد أثرٌ كبير في انتشار العلم والإصلاح العام في القرارة، كما كان لدروسه في الوعظ والإرشاد في المسجد مثل هذا الأثر في عامَّة الناس وخاصَّتهم.

الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء

من المتخرِّجين من معهد الشيخ الأبريكي الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء الذي خلف شيخه في معهده على إثر موته سنة 1329هـ، 1911م. فسار فيه سيرته الطيبة نحو سنتين، ثمَّ تخلَّى عنه إلى ميادين أخرى، وكان من تلاميذه المبرَّزين الشيخ بيُّوض الذي لا يفتر في المناسبات عن ذكر فضله عليه في التربية والتعليم. وكان من أبرز الأعضاء الكبار في بعثة تونس، وكان بعد ذلك وكيلا لأوقاف المسجد أمدًا طويلا، وتولَّى دروس الوعظ والإرشاد سنوات بعد موت الشيخ الحاج عمر بن يحيى، ثمَّ نائبا عن الشيخ بيُّوض في هذه الدُّروس، ثمَّ خلفه في هذه النيابة الشيخ أبو اليقظان، رحمهم الله.

الشيخ الحاج إبراهيم بن كاسي

من المعاهد المفتوحة في هذه الفترة في العقد الثاني من هذا القرن، معهدُ الشيخ الحاج إبراهيم بن كاسي، لنشر العلوم الشرعية والعربية، ولحفظ القرآن، تخرَّج فيه طلبه شغلوا ميادين العلم والإصلاح. كان من أعيان المصلحين، وشخصيةً بارزة في صفوفه، التحق بحلقة العزَّابة، وتولَّى إمامة الجامع أمدًا طويلاً إلى أن وافاه أجله المحتوم في أوائل سنة 1339هـ،1921م. وكان في طليعة من دهمهم الوباء الوافد على القرارة في هذه السنة، فخلفه في الإمامة ابنُه الشيخ الحاج أحمد الذي كان من أعضاء بعثة تونس العلمية.

الشيخ الحاج عمر بن يحيى

في أوائل هذا القرن ظهر العالم الجليل والمصلح الكبير الحاج عمر بن يحيى ويرو الحاج يحيى، الذي نشأ في الفلاحة، ثم لما اكتهل سافر إلى التجارة في بلدة (خنشلة)، فأقام فيها سنوات، فعاف هذه الحرفة ونفر منها، ورأى أنَّه لم يُخلق لها، فعاد إلى القرارة، وكانت له رغبة شديدة في طلب العلم، فلجأ إلى الشيخ الحاج محمد القاضي طالبا منه أن يخصِّص له وقتا للتعلُّم، فقال له: «إن وجدت

ساعة خارجة عن الأربع والعشرين ساعة فهَلُمَّ». فلما يئس منه اتَّجه إلى «الشيخ الحاج بابكر» في غرداية فرحَّب به، فتلقَّى عنه العلم في شغف شديد، وفي شظف من العيش عسير.

ثمَّ تقدَّم إلى الشيخ اطفيش يستزيد منه، فتزوَّد منه بالعلم الوافر، وتحلَّى بالخلق الفاضل، وتدرَّع بالإخلاص والصبر والتضحية، فخرج في مفتتح هذا القرن إلى الميدان بهذا السِّلاح العتيد، ففتح معهده حوالي منتصف العقد الأول، فالتفَّ حوله تلاميذ من مختلف الطبقات، تداولوا عليه طبقة بعد أخرى. فبثَّ فيهم معارفه وأخلاقه ومبادئه الإصلاحية. وانضوى تحت لواء أعيان البلدة وشخصياتها البارزة، فبثَّ فيهم روح الألفة والتضامن والتعاون على الإصلاح العام، وارتقى إلى المسجد فرفع من على منبره صوت الوعظ والإرشاد والتهذيب الخلقي، ولم يفارق هذا المنبر حتَّى دعاه داعي الحقِ، فكان له من تلاميذه ومريديه جيشٌ عتيدٌ، توزَّع على ميادين الإصلاح، وتفرَّق في نواحيه، ينشر مبادئه ويبثُّ تعاليمه ويدعو إلى الأُلفة، ويحارب العنصرية والفساد، والطُّغيان والاستبداد. وكان لدروسه في المسجد وفي المناسبات الخاصَّة والعامَّة – وما أكثرها – أثرٌ كبير في تطوُّر الحياة بالقرارة؛ إذ انفتحت فيها دور العلم، وكتاتيب لحفظ القرآن، وأنشأ في دار

التلاميذ[1] طبقات يتولَّى التدريس فيها تلاميذه المبرزون، وتواردت عليه بعثات علمية من ميزاب ووارجلان، فتخرجت عنه طبقات من التلاميذ.

فالطبقة الأولى منهم تفرَّقوا في ميادين العمل متشبِّعين بمبادئه وأخلاقه، ولم يشتهر منهم عالم مبرز إذ لم تؤهلهم دواعي الحياة العامَّة ليحصلوا من العلم على ما يعدهم لنشره والخوض في ميادينه. وله منهم أنصارٌ ومؤيِّدون في طليعتهم المجاهد الكبير السِّيد «الحاج بكير العنق»، الذي ساند شيخه بصدقه وإخلاصه، وبرأيه السديد، وتدبيره الذي فاق به أهل عصره، ولازم الشيخ بيُّوض كذلك إبَّان نهضته، إلى أن توفي سنة 1934م.

الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى

وأمَّا الطبقة الثانية فقد حصلوا على نصيب من العلم لا بأس به، في مستوى متوسِّط، والتحق بعضهم بالشيخ اطفيش؛ ومنهم الشيخ أبو اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى، والشيخ إبراهيم بن بكير حفَّار.

1- دارٌ متَّصلة بالمسجد لا يغشاها إلاَّ الطَّلبة المستظهرون للقرآن تسمى (دار إيروان) ولها رئيس يدير شؤونها، وأنظمة وتقاليد خاصَّة بها. تلقى فيها الدُّروس بين العصرين صيفًا وبعد صلاة الصُّبح شتاء، وتوجد مثل هذه الدَّار على هذا النَّمط أو قريب منه في جميع مدن ميزاب.

أمَّا الشيخ أبو اليقظان فقد أبى له طموحه إلاَّ أن يعلو بمكانته العلميَّة، ويوسِّع أفق مداركه، ليتمكَّن من نشر العلم وسط الناشئة بوسائل أجدى وأوفى، فسافر إلى تونس على رأس بعثة علمية من التلاميذ الصغار سنة:1331هـ، 1913م. فلم تطُل مدَّتُهم فيها؛ إذ لم تساعدهم الظروف بعد نشوب الحرب العالمية الأولى، فعاد ببعثته إلى القرارة، ففتح بها دارًا للتعليم، انضمَّ إليها من انضم من غيرهم، فاستمرَّت نحو سنتين. ثمَّ تخلَّى عنها فأعاد الكرَّة إلى تونس على رأس بعثة أخرى من أغلب مدن ميزاب، جمعت بين كبار التلاميذ وصغارهم؛ أمَّا الكبار فقد التحقوا بجامع الزيتونة، يزاولون فيها علومها، وأمَّا الصغار فقد التحقوا بالمدارس الابتدائيَّة يتلقَّون فيها التعليم العصري، فاستمرَّ يرأس البعثات المتواردة عليه، ويشارك الكبار في تنمية معارفه من مختلف المعاهد، كما يشاركونه في تسيير البعثة إلى أواخر سنة: 1345هـ، 1926م. فكان لهذه البعثات الأثر الكبير في نهضة ميزاب العلميَّة، وفي نشر التعليم المنظَّم بأساليبه العصرية.

ترك البعثات تحت رئاسة ورعاية الشيخ الثميني والشيخ قاسم بن الحاج عيسى، ابن الشيخ. أحد تلامذة الشيخ الحاج عمر بن يحيى المبرزين، وتصدَّى هو للصحافة بالجزائر فأصدر ثماني جرائد متوالية في ثلاث عشرة سنة، في أسلوب بديع لم تعهده الصحافة

من قبل. وأسَّس المطبعة العربيَّة التي كانت ولا تزال مفخرة للأمَّة، فقابلت السُّلطة الغاشمة صحافته بالتعطيل، كلَّما أصدر صحيفة عطَّلتها، إلى أن قضت عليها جميعا. فذهبت كلُّها شهيدة وطنيتها وصراحتها. ثمَّ عاد إلى القرارة بعد نشوب الحرب العالمية الثانية، حيث استحال لصحافة مثلها أن تبرز للوجود، فاستقرَّ في مسقط رأسه، مشتغلاً بالتأليف والإصلاح العام، والتدريس في المسجد نيابة عن الشيخ بيُّوض إذا غاب، إلى أن توفي سنة: 1393هـ، 1973م.

الشيخ إبراهيم بن بكير حفّار

أمَّا الشيخ إبراهيم بن بكير فإنَّه بعد تخرُّجه من معهد الشيخ اطفيش التحق مثل زميله الشيخ أبي اليقظان بجامع الزيتونة بتونس، فأقام فيها سنوات، اتَّسعت فيها مداركه، وحصل على نصيب وافر من العلم. بعد أن كفَّ بصرُه، فعاد إلى القرارة فحاول شيخُه الحاج عمر بن يحيى بكلِّ وسيلة أن يجتذبه إليه ويستعين به على نشر العلم بتوسيع مشروعه الكبير، توحيدًا للكلمة وضمًّا للجهود، فامتنع وأصرَّ على أن يعمل مستقلاًّ، ففتح في سنة 1335هـ، 1916م دارًا للعلم، فالتفَّ حوله كثير من التلاميذ لمكانته العلمية، ولبراعته في التدريس بالفصحى، ووفدت إليه بعثاتٌ من ميزاب

ووارجلان، فازدهر معهده سنوات، ولكنه – لأسباب نجهلُها – ضعف وفتر نشاطه، وتفرَّق عنه جميع تلاميذه، فاضطرَّ إلى غلقه، فانتقل إلى بني يزقن بعد موت الشيخ الحاج صالح بن عمر (رَحِمَهُ اللَّهُ) سنة 1346هـ، 1928م فاحتضنه أهلُها لتعطُّشهم إلى من ينشر العلم فيها، ويروي ظمأهم، فأقام يلقي الدُّروس كما كان في القرارة إلى أن توفِّي (رَحِمَهُ اللَّهُ) سنة 1374هـ، 1954م. وقد استفاد منه جيلٌ مُعتبر، وتخرَّج عنه كثير من التلاميذ شغلوا ميادين الحياة العامَّة بجدارة.

الشيخ الطرابلسي

ومن دور العلم الناشئة في حياة الشيخ الحاج عمر بن يحيى بمساعي الملتفِّين حوله من أعيان الإصلاح، دار الشيخ الطرابلسي المفتوحة سنة 1331هـ، التي تولَّى التعليم فيها الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم قرقر الطرابلسي نشأةً الريَّانِي نسبًا.

نشأ في طرابلس وتلقَّى علمه فيها، فكان له اطِّلاع كبيرٌ وثقافة واسعة، وحفظ وإتقان للقرآن لا نظير لهما في البلد، فأحدث في تعليم القرآن أساليب جديدة لم تكن معروفة من قبل.

وهو الذي أدخل إلى القرارة خطَّ النسخ المشرقيِّ الجميل، وكان المتعلِّمون قبله لا يعرفون سوى الخط المغربي التقليدي.

وكان يلقي فيها دروسا ليلية لكبار التلاميذ ولعامَّة النَّاس في العقائد والفقه، فأقبل عليه التلاميذ من كلِّ ناحية حتَّى اكتظَّت الدَّار، ولم يُرَ في البلد دارٌ عامرة مثلها. فتخرَّج عنه تلاميذ كثيرون، عمروا دور العلم وميادين الحياة، وكانوا نواة لمعهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى ولمعهد الحياة بعده.

كما كانت الدَّار نواة لمدرسة الحياة الموجودة الآن في دائرة واسعة، وفي جهات متعدِّدة من البلد. والدَّار – وإن لم تكن معهدًا لتلقِّي الدُّروس كسائر المعاهد المفتوحة في هذا العهد – فإنها قريبة منها من حيث ما يلقى فيها من بعض المبادئ في الدين والأخلاق والأدب العربي.

عودة إلى معهد
الشيخ الحاج عمر بن يحيى

أمَّا الطبقة الثالثة والأخيرة من تلاميذ الحاج عمر بن يحيى فهم الطبقة الذين توفِّي عنهم وهم لا يزالون طلبة كبارًا، يتلقَّون عنه الدروس في المستوى العالي نسبيًا، وعلى يدهم تطوَّر المعهد إلى معهد الحياة. منهم: الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود، ابن عمر لقبًا، والحاج إبراهيم بن إسماعيل حاجِّي، والحاج محمد بن حمو، ابن الناصر لقبًا، والحاج عمر بن الحاج محمد بوحجَّام، وبالحاج بن محمد، ابن الشيخ، وقاسم بن إبراهيم، الشيخ بالحاج، وقاسم بن

الحاج عيسى، ابن الشيخ، وصالح بن يوسف بسيس. وعلى رأس هؤلاء جميعًا الشيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض، الذي يمتاز عنهم بذكائه واجتهاده ونبوغه على صغر سنِّه، والذي كان محظيًّا لدى شيخه لهذه المزايا، يقربه إليه ويحضره إلى اجتماعاته الخاصَّة والعامَّة يصطحبه أينما حلَّ وارتحل، أسند إليه في حياته بعض الدُّروس للطَّبقة العليا من زملائه، كالبلاغة والمنطق، ودروسًا في الإنشاء والأدب، والأخلاق للمبتدئين، الذين أقبلوا عليها بكلِّ شغف، غير أنَّها لم تدم طويلا؛ إذ عاجلته الأحداث على إثر وافد الوباء العامِّ الذي قضى على نخبةٍ صالحةٍ من أعيان القرارة، فكان من ضحاياه أبوه المرحوم السِّيد عمر بن بابا بيُّوض، أحد أركان الإصلاح، ومريدي الشيخ الحاج عمر بن يحيى، وبعد أسابيع قلائل كانت النكبة العظمى بوفاة الحاج عمر بن يحيى ليلة 27 رمضان 1339هـ، 1921م. فوقع الناس في اندهاش وذهول ولاسيما تلاميذه الكبار، وخرجت البلدة كلُّها في جنازته، في حفل كبير فقام الشيخ بيُّوض أمام ذلك الجمع الحاشد خطيبا مؤبِّنا، فكان أوَّل مقام عام يقومُه. وكان خطابُه أروع خطاب سمعه الناس منه، وهنالك في المقبرة دعا التلاميذ كلَّهم إلى اجتماع عامٍّ في دار الشيخ، على أثر الرُّجوع من المقبرة، وكانوا في ذهول شديد من هول الصدمة.

فاجتمعوا في الوقت، فقام بينهم خطيبا مرَّة ثانية بخطابٍ لا

يقلُّ روعة عن خطابه الأوَّل، حثَّ فيه التلاميذ على تعمير الدَّار والاستمرار على خطَّة الشيخ ولزوم طريقته، وحثِّهم على توحيد الكلمة، ولمِّ الجهود، وخدمة العلم، وأسند الرئاسة والتدريس إلى الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود (رَحِمَهُ اللهُ) البارز في التلاميذ، بعد الشيخ بيُّوض، والأكبر سنًّا، فرحَّب الجميع لدعوته، واطمأنُّوا لقراره، وساروا على نهجه.&&&

بعد وفاة الشيخ الحاج عمر بن يحيى

بعد أيام العطلة لمناسبة العيد والعزاء، انتصب الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود (رَحِمَهُ اللهُ) للتدريس، حسب قرار الشيخ بيُّوض، وهو إن لم يكن قويا في مواهبه ومعارفه نسبيًّا، ولكنَّه كان قويا في ورعه وسلوكه الطيِّب، يعينه كبار التلاميذ في التسيير والمراقبة، فاستمر الحال على ذلك قرابة ثلاث سنوات.

وفي أثناء ذلك كان الشيخ يغيب لشغل أو لسفر في فترات تطول وتقصُر، فيخلفه الشيخ بيُّوض في مهمَّته، فيلقي على التلاميذ دروسًا بأسلوبه المنطقي البليغ، وشرحه المستفيض، ومعارفه الواسعة، فيجدون بين درس هذا وذاك فرقًا بعيدًا.

وكان التلاميذ من الطبقتين الصغيرة والمتوسِّطة لا يملكون أمرًا ولا اختيارًا، فهم مستسلمون للواقع، قصاراهم أن يُبدوا بينهم

إعجابهم بدروس الشيخ بيُّوض، وكانت الطبقة الكبيرة لا تفكِّر في القضيَّة، أو لا يُعرف لها تفكير، أو رأي أو موازنة، والشيخ بيُّوض لا يستطيع لمكانته تغييرًا في الوضع الحاضر.

الشيخ الحاج صالح بن عمر اليزجني (رَحِمَهُ اللَّهُ) والمعركة بين القديم والحديث

في هذه الأثناء وفي صيف سنة: **1341هـ**، **1922م**، زار القرارة الشيخ الحاج صالح بن عمر، فنزل في دار الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود، فقابلته أسرة العلم التي تمثِّلها الطبقة الكبيرة من التلاميذ ومن يتَّصل بهم من العزَّابة وأعيان البلد بحفاوة كبيرة تليق بعالم جليل مثله. وكان يلقي دروسًا عامَّة في دار نزوله، وفي المآدب التي تقام له، يدعو فيها إلى الاعتناء بعلوم الشَّرع وما يرتبط بها من عربيَّة وغيرها. وينكر التفرُّغ للعلوم الحديثة وكُتبها، أو العلوم العصرية كما يسمُّونها، وينعى على المشتغلين بها، وصادف أثناء وجوده في القرارة أن صدرت مقالة نشرها الشيخ أبو اليقظان في جريدة «الإقدام» بإمضاء (نصوح)، يردُّ فيها على درس ألقاه الشيخ الحاج صالح في مسجد بني يزقن ليلة 15 شعبان من تلك السنة، شنَّع فيه على تعليم الأولاد الصِّغار في تونس، وعلى البعثات المتواردة عليها، والقائمين بها، خوفا من أن يتأثَّروا

ببيئة لا يأمنون فيها من الانحراف وسوء التربية، وفساد في الأخلاق، وهم صغار السِّن، لم ترسخ فيهم العقائد السليمة وفضائل الأخلاق التي تعصمهم من هذا الانحراف.

ولما قُرئ عليه المقال، تأثَّر واشتدَّ إنكاره عليه، فنشبت معركةٌ بين الطرفين؛ الداعين إلى الدِّراسة في تونس والمنكرين، ميدانُها الصحافة والرسائل والكتب، دامت سنتين تقريبًا، وكانت الطبقة الصغيرة والمتوسِّطة من تلاميذ المعهد في السنة الأولى من نشوب هذه المعركة بمعزل عن الميدان، واقفين موقف المتفرِّج، مشتغلين بدروسهم، وإن كان لبعض من الطلبة المتوسطين وأكثر الطبقة الكبيرة ميلٌ إلى جانب الشيخ الحاج صالح، متأثِّرين بالشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود الذي كان من أنصار الشيخ وأتباعه.

وكان الشيخ بيُّوض من أنصار حركة تونس ومؤيِّدي رؤسائها، ولكنَّه ينكر إثارة المسألة في الصحافة والكتب، ويرى معالجتها بطرق أخرى أحسنُ عاقبة، إذ لا تزال كذلك علاقته بالشيخ الحاج صالح حسنة؛ تبعًا لعلاقة شيخه الحاج عمر بن يحيى. وكان يحافظ على هذه العلاقة احتراما لمكانة الشيخ العلمية، ومحافظة على الوحدة التي تفانى شيخه الحاج عمر وأعيان الإصلاح معه في تمكينها في القرارة، وبنائها على أساس متين، رغم عوامل التصدُّع

التي لم تجد في بلاد ميزاب من يقاومها ويحاربها كما وجدت في القرارة.

الشيخ بيُّوض في الميدان

أصيبت القرارة في الشهور الأولى من سنة 1921 بوباء وخيم لم تشهد له مثيلا قبله – فيما نعلم – ولا بعده، أودى بمئات من الضحايا، ومن بينهم قادة الإصلاح وأعيان البلد. فسقط الصفُّ الأمامي منهم، وكان الشخص الوحيد المرشَّح لسدِّ هذا الفراغ الكبير هو: الشيخ بيُّوض، الذي وجد نفسه فجأة وسط الميدان وفي الصَّف الأوَّل حاملا للرَّاية متقدِّما للكفاح.

وفي سنة 1922 دعي إلى حلقة العزَّابة فأكسبها قوَّة وعظمة وهيبة، وكان له في رحاب المسجد صوتٌ مدوٍّ تنقاد له النفوس، فلمع نجمه في سماء القرارة، وسطع نوره في أرجائها، فشغل المجتمعات وملأ المنتديات، وبرز في الحفلات، ووقف فيها المواقف الحاسمة، من دينيَّة واجتماعية وسياسية، وظهر بمعارف جديدة لا عهد للناس بها، وبآراء سديدة غير مألوفة، وكانت دروسه التي يلقيها في المسجد نائبًا عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء (رَحِمَهُ اللهُ) إذا غاب، وفي المعهد نائبًا عن الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود (رَحِمَهُ اللهُ)، عند مغيبه

كذلك، وفي دار التلاميذ، وفي حفلات الأعراس، وفي المناسبات الأخرى آية في الرَّوعة والإبداع، تحوز إعجاب الناس، وتحظى بأسمى مكانة في نفوسهم، فكان بهذا المظهر البديع مهوى الأفئدة، ومحطَّ الآمال.

بوادر التَّصدّع والنَّفور
بين الطبقة الكبرى في المعهد

كان من البداهة أن ينافسه في هذه المكانة زملاؤُه، وهم الذين كانوا بالأمس طلبةً معه يجمعهم مستوى واحد، وشيخ واحد، فحدث بينهم ما ينشأ غالبًا بين جماعات تعمل في ميدان واحد من سوء تفاهم ونفور، وعقد نفسية، عجزت الأيام وحوادثُها عن حلِّها؛ فكان البعض منهم يتسقَّطون فلتاته، ويترصَّدون بوادره، ويحاولون حسبما يبدو بعد ذلك أن يحدُّوا من نشاطه، ويفُلُّوا من عزيمته، ويحطُّوا من مكانته، وأن يسايرهم في مستواهم الفكري والاجتماعي، فبدأ شيءٌ من هذه المنافسة يطفو على الساحة. وكان مظهره مجلسًا عُقد له تحت ستار العتاب الأخوي، استغرق يومًا كاملا، تعطَّلت فيه جميع الدروس، وكانت الطبقة كلُّها يومئذ ضدَّه، على تفاوتٍ بينهم، ما عدا السيد قاسم بن الحاج عيسى ابن الشيخ، الذي ظاهره وكان من

أنصاره منذ أن تعارفا تلميذين صغيرين في معهد الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى الابريكي إلى أن توفِّي سنة 1361هـ، 1942م.

وكانت الجلسة سريَّة، لم يتسرَّب شيءٌ منها إلى ا لتلاميذ ولا إلى غيرهم، وقد سُئِل أحد أفراد الطبقة إذ ذاك عن موضوع الجلسة فكتمه ولكنه عبَّر عن أثرها بالبيت المشهور:

إنَّ القلوبَ إذا تنافرَ ودُّها
مثلُ الزجاجة كسرُها لا يُشعَبُ

لم يشعر بقيَّة التلاميذ يومئذ بأثر هذا الخلاف؛ فالنظام سائدٌ، والدروس مستمرَّة يتولاَّها الشيخ الحاج عمر، ويحضرها الشيخ بيُّوض كتلميذ ويستمع إليها، ويتتبَّعُها باهتمام، كما كان يستمع إليها من شيخه الحاج عمر بن يحيى.

التلميذ عدُّون بن بالحاج في الميدان

كان من بين تلاميذ هذا المعهد تلميذٌ متوسِّط المواهب، شغوفٌ بالعلم، حريص على تحصليه، هو التلميذ «عدُّون بن بالحاج شريفي»، الذي أمضى زهرة عمره في التجارة في الشمال، كما يمضيها إذ ذاك أكثر الميزابيِّين، قضى فيها سبع سنين، تخلَّلتها بضعةُ أشهر رجع فيها إلى مسقط رأسه مرَّة واحدة، فعاف هذه

الحياة واجتواها، واعتبرها سجنا مضيقا، فنبذها والتحق بعد زواجه في شهر أفريل 1338هـ، 1919م، بدار الشيخ الطرابلسي (رَحِمَهُ اللهُ)، لحفظ القرآن وتفرَّغ له، فاستظهره في آخر السنة نفسها. وبعد دخوله دار التلاميذ الخاصَّة بالمستظهر للقرآن كما هي العادة، التحق بمعهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى في أوَّل سنة 1338هـ، 1920م، أدرك من حياة الشيخ سنة واحدة أو تزيد، واستمرَّ فيه بعد موته. وبعد سنتين من حياته العلميَّة أُسندت إليه – لنشاطه ومكانته في المعهد – بعض التكاليف وعيِّن مراقبا للطبقة الصغيرة والمتوسِّطة التي هو منها.

كان هذا التلميذ في سنتيه الأوليين – كغيره من التلاميذ – لا يتصوَّر العلم إلاَّ دروسا دينية، من فقه يُحفظ، ونحو تضبط قواعدُه من غير تطبيق، ومحفوظات في مختلف الفنون تكدَّس في الحافظة من غير فهم. وتأخذ من التلميذ أكثر أوقاته، وفي هذا العهد بين سنتيه الثالثة والرابعة أي أواخر سنة 1922، وأوائل سنة 1923 بدأ يشعر بأنَّ هنالك حياةً علميةً غير هذه الحياة التي يرسف التلاميذ في قيودها.

وبواعث هذا الشعور كثيرةٌ منها اتِّساع مداركه، والاستعدادُ للفهم وممارسته للدُّروس، ومنها الدُّروس التي يتلقَّاها عن الشيخ

بيُّوض في دار التلاميذ، وفي المعهد عند غيبة الشيخ الحاج عمر، وفي المسجد نيابة عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم، وفي مناسبات الأعراس وغيرها. ومنها هذه المعركة حول البعثة التونسية التي عرَّفته بالجرائد والمجلاَّت والكتب الحديثة، ومن بينها كتاب: «إرشاد الحائرين» للشَّيخ أبي اليقظان (رَحِمَهُ اللهُ). الذي كان حقيقة خير مُرشد له. وكتاب «الدعاية إلى سبيل المؤمنين» بعد ذلك للشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، ومنها اتِّصاله تدريجيا بالطبقة الكبيرة التي كان بمعزل منها تمامًا، فقد كان تلميذًا متقدِّما في الطبقة الصغيرة، ثمَّ المتوسطة، فأصبح بهذا الاتِّصال الذي بدأ في أوَّل سنة 1923 – صغيرًا في الكبيرة – يحضر مجالسها متطفِّلا في أوَّل الأمر، ثمَّ بتوالي الأيام وتطوُّر الأحوال وطموحه، فرض مركزه فيها، فكان أحد أفرادها، لكن في الجلوس فقط لا في الدروس التي سبقوه فيها بسنوات.

كان يشاركها في مجالسها وأحاديثها وأسمارها، ويطلُّ منها على الحياة الاجتماعية التي كانت نوافذها مسدودة عنه تماما. وكانت معركة تونس تَشغَل يومئذ أكثر هذه الجلسات، وتشتدُّ المناقشة فيها، وكانوا كلُّهم إذ ذاك – كما قلنا – في جانب الشيخ الحاج صالح (رَحِمَهُ اللهُ)، ما عدا السيد بوحجَّام الحاج عمر الذي كان أحد أعضاء بعثة تونس، والسيد قاسم بن الحاج عيسى

لتفتُّحه.

وأمَّا الشيخ بيُّوض فكان بمعزل عن هذه الجلسات عادة ولم يبدُ له رأيٌ واضح في الموضوعِ.

وكان هذا التلميذ أوَّل الأمر يقف بين الطرفين موقف الحائر المتردِّد، ثم صار بمقتضى تفتّحِ الذهن واتساع المدارك، يميل إلى جانب تونس. ثم أعاد النظر في كتاب «إرشاد الحائرين» بعد أن قرأه قبل شهور شاكًّا متردِّدا، ومن غير وعي ولا فهم، إذ كان متأثرًا بالظروف المحاطة به، فوجد بعد إعادة النظر في الكتاب بونًا شاسعًا بين القراءة الأولى والثانية، فرسخت عقيدتُه في القضية، وتبدَّل موقفه من تردُّد وارتباك إلى يقين وثبات، ومن سكون واستسلام إلى كفاح ونضال.

كفاحه في سبيل الإصلاح

قوي بهذه العوامل المختلفة شعورُه بعقم هذه الحياة العلمية الراكدة، وبرامجها ومناهجها التقليدية.

واشتد هذا الشعورُ بتوالي الأيام وتتابع الحوادث وتطوُّر الحياة العامة، حتى كان هَمًّا يعتلج في صدره، وغمًّا ينغِّص حياته، ويقضُّ مضجعه، ويطغى على كلِّ همٍّ سواه، وهو الذي كان قد نبذ حياته

الأولى المادية، التي هي عماد مستقبله الزائل، واختار الحياة العلميَّة التي هي عماد مستقبله الدائم.

أفضى بهذا الهمِّ إلى أحد زملائه من الطبقة المتوسطة؛ راجيًا منه أن يشاركه فيه برأي، أو يهديه إلى رشدٍ أو يتحمَّله معه ويتوجع مثله على الأقل، فوجده خالي البال، بارد القلب، وقابله بفتور وعدم اكتراث فزاده غمًّا على غمٍّ... وويلٌ للشجيِّ من الخليِّ.

ثم أفضى به إلى أحد الكبار، فتذمَّر معه وتوجَّع واهتم، ولكنه لم يساعده برأي ولم يسعفه بدواء فازداد حيرة وقلقًا، وضاعفت الأيام المتوالية همَّه، وكاد ييأس من تغيير الحالة.

ثم عمد إلى آخر محاولة أمكنته، فجمع أكثر الطبقة الكبيرة فأفضى إليهم بهمِّه وبيَّن لهم ضعف التعليم وعقمَه، وقصورَ البرامج عن مسايرة الحياة الحاضرة، ولم يتعرض لأيِّ خلاف في المسائل المتنازِع فيها، وطلب كعلاج للحالة إسناد الدروس الرئيسيَّة إلى الشيخ بيُّوض، وتعديلا في البرنامج، وإدخال وسائل التطبيق في القواعد، فوجد من الجميع انصياعًا وموافقة، على تفاوُتٍ في إدراك الحالة والاهتمام بها.

وكان أكثرهُم حماسة وإدراكًا السيد قاسم بن الحاج عيسى، الذي كان خير سند ومُعين. واستغرقت المفاوضة وقتا طويلا من

غير أن يحصلوا على طريق للعلاج؛ فكلهم يتحاشون عرض المسألة على الرئيس الشيخ الحاج عمر ومن معه، خوفًا من الاصطدام، وتصدع الوحدة، وتفرقوا على ميعاد لجلسة أخرى تُعقد بعد تبييت الرأي وإعمال النظر.

ثم عقدت جلسةٌ ثانية، وبعد مفاوضات اتفقوا على عرض المسألة على الشيخ بيُّوض، فانتدبوا منهم من يفاتحه في الموضوع. ويتواعد معه على لقاء معهم. وبعد الاتصال به وعرض القضية عليه رضي باللقاء بعد امتناع وتلكُّؤ شديد، فلما جلسوا معه وشرحوا له القضية – وكان مدركًا للواقع عالما بحالة المعهد – أظهر مداورة وامتناعًا عن التعرُّض لشيء من التغيير؛ زاعمًا أنَّ الأحوال جارية مجراها الطبيعي، ليس فيها ما يدعو إلى تغيير أو تبديل؛ فالدروس منتظمةٌ والنظام سائد، والاحترام متبادَل، والإخلاص موفورٌ، والعمدة في التحصيل على رغبة التلميذ واجتهاده. وبعد مداولات ومحاورات طويلة وعد بدرس المسألة وإمعان النظر، فافترقوا على غير طائل وعلى غير ميعاد.

ثم عقدوا جلسة أخرى دون حضوره، وتجاذبوا الرأي في الموضوع، فاتفقوا على عقد اجتماع مباشر مع الشيخ الحاج عمر ومن معه، وإلزام الشيخ بيُّوض بحضوره وبسط الموضوع أمام

الجميع، مطالبين بإصلاح الوضع الحاضر، وعقدوا آمالا كبارًا على هذه الجلسة، وتمنَّوا أن تكون حاسمة، يتوصَّلون فيها إلى الإصلاح المنشود في ظل الوحدة الشاملة.

وكُلِّف اثنان: المراقب والسيد قاسم بن الحاج عيسى بإخبار الشيخ بيُّوض بما اتفقوا عليه وإقناعه بوجوب حضوره، وبعد الاتصال به أبدى –كعادته– تهرُّبا ومداورات وتلكؤات، وبعد جهد جهيد أظهر استعداده للحضور، وتواعدوا بعد أيام على عقد هذا الاجتماع في الليلة الأولى من شهر رمضان سنة 1343هـ، 1924م، شهر أفريل. حضر الجميع في الموعد ما عدا الشيخ بيُّوض، فنودي من محله فاعتذر بشغل عارض.

وبعد افتتاح الجلسة شرعوا في البحث في الموضوع، ولم يُحفظ كيف دار الحديث إذ ذاك وكيف التوى، وإنما المحفوظ هو أنَّ الشيخ الحاج عمر ومن معه اهتبلوا غيبة الشيخ بيُّوض، فوجَّهوا حملتهم على علوم تونس وأصحابها، ومن ينتمي إليهم، فتحاشى المجتمعون الخوض معهم فيما خاضوا فيه، خوفًا من الدخول في متاهات لا يجدون منها مخرجًا، ومحافظة على جمع الكلمة وتوحيد الصف. فقاموا متذمِّرين ساخطين على مآل هذه الجلسة التي كانوا يسعون لعقدها من زمن طويل، ويأملون فيها العلاج الشافي

للحالة.

وكان المراقبُ الباعث لهذه الحركة والمسيِّر لها أشدَّهم تذمُّرًا، وأكثرهم سخطًا ونقمة على هذه العاقبة، وعلى المتسببين فيها، حتَّى على الشيخ بيُّوض المتخلِّف عن الحضور، فلو كان حاضرًا لما وقع هذا الانحراف، ولسارت في مجراها الطبيعي، ولخرجوا منها بطائل.

بات المراقب في شرٍّ ليلة؛ لم تسكن له فيها لواعجه، ولم يُغمض له جفن، فغدا مبكرًا إلى الشيخ بيُّوض لينعى عليه تخلُّفه، فطرق الباب فأطل عليه من النافذة فأفضى إليه وهو واقف أمام الباب بمآل الجلسة، فقابله ببرودة، فزاده بموقفه الفاتر الدال على عدم الاكتراث غمًّا على غمٍّ. فذهب إلى المعهد متثاقلا يحمل رجليه، فأضرب عن بعض ما كان يقوم به من الأعمال العامَّة المكلَّف بها من قبل.

فسأله الشيخ الحاج عمر عن ذلك فقال: شرد ذهني وركبني الهمُّ، ولم يبق لي فكرٌ أعمل به، فتركه وشأنه، ولم يراجعه في شيء، إذ كان يعلم أنه السبب.

ولأول مرَّة يجابهه بهذا الموقف رغمًا عن احترامه للشيخ وتقديره وإعزاز الشيخ له، وعطفه الكبير عليه. ولم يؤثر هذا

الموقف في العلائق المتبادلة، بل زاد من جانبه تلطفًا وعطفًا تقديرًا لمركزه في المعهد، وبقيت القضية معلَّقة لا يجدون لها حلا.

وفي أثناء هذه المساعي كان بعض صغار التلاميذ، ممن كانوا في بعثة تونس يحاولون مع الشيخ بيُّوض ما يحاول الكبار من غير أن يتَّصل أحد الجانبين بالآخر، أو أن يعرف أحدها من أمر الآخر شيئًا. فكان يقابلهم بأسوإ مما يقابل به الكبار؛ كان يحسن لهم الطريقة الجارية، ويرفع من مقام الشيخ ويثني عليه ويبارك عليه وعلى تعليمه وإخلاصه فيه، متعمدًا مخالفة ضميره، وإنكار الواقع، حرصًا على رفع مقام الشيخ أمام الصغار، ومحافظة على جمع الكلمة، كما صرَّح بذلك فيما بعد. فيرجع عنه المساكين محتارين مذبذبين. ويخلُدون إلى السكون والاستسلام كما يسكن الكبار ولكن إلى حين.

سفر المراقب إلى ميزاب

وبعد أسابيع من هذه الحوادث عرض للشيخ الحاج عمر وللسيد الحاج إبراهيم بن إسماعيل السفر إلى ميزاب، ومنزلهما فيه الشيخ الحاج صالح بن عمر في بني يزقن، فعرضوا على المراقب المرافقة، ولعلَّ غرضهم من ذلك الاتصال بالشيخ والسماع منه مباشرة علَّه يستميله إليه، ويقدر منه على ما عجزوا عنه،

فيستريحون من مشاغباته، إذ يعلمون أنه الباعث لهذه الحركة، المتعهِّد لسيرها بنشاط وحماس. فأظهر الموافقة رغبة في السفر والاطلاع، وترويحا للنفس من همٍّ ناصب ينوء بكلكله. وإن كان من جانب آخر لا يرغب في لقاء الشيخ الذي يتوقَّع أن يسمع منه آراء ونظريات ملَّ سماعها، ولم يبق لها من نفسه مُستساغ.

فسمع بعزمه على السفر بعض الإخوان من الجماعة، منهم السيد بوحجام الحاج عمر فحذَّره من السفر مشفقًا عليه، وأظهر له خوفه من هذه الرحلة، فأجابه بالحرف الواحد: «لست ممن تزعزعه العواطف» وأخبر الشيخ بيُّوض بعزمه فلم يمانع فسافر معهم.

وصادف أن كان السيد قاسم بن الحاج عيسى قد سبقهم لشغل يخصُّه، فاتصل بهم، فقوبلوا في ميزاب بحفاوة كبيرة، وكان ما توقع من تعرض الشيخ لمسائل الخلاف كلَّما عرضت مناسبة، وكانت جلُّ أحاديثه في أكثر الأوقات تدور حول بعثات تونس والردِّ على أصحابها.

دامت الحالةُ على هذا النمط أسبوعًا كاملاً، ورآها ممتدَّة إلى غير حد، فضاق ذرعا بالحالة، وكان يجد راحة نفسه ورغبتها عندما ينفضُّ المجلس ويبقى وحده مع الشيخ يطالع له فيستفيد من علمه

وأبحاثه وتحقيقاته فوائد كبرى، إذ كان عالما بحق، واسع الاطلاع، غزير المادة، قوي الفهم، قوي الذاكرة.

وكان السيد قاسم يتفصى من هذه الجلسات كثيرا إذ لم يكن مرتبطا بهم كارتباطه، فاتفق معه على العودة، فأعلن السيد قاسم رجوعه بعد انتهاء مهمته. فاستأذنهم في مرافقته فأذنوا إذ رأوا من انطوائه على نفسه أنه في واد وهم في واد. ولما عادا حكيا للشيخ بيُّوض ما شاهداه فتذمَّر واستاء وتشاءم من المستقبل.

الخطوة الأولى في الإصلاح

وبعد عودتهم من ميزاب عادت الجماعة إلى المشكل الرئيسي، محاولين حلَّه بكل وسيلة، فأعادوا الكرَّة سالكين الطريق الأول، فعقدوا جلسة مع الشيخ بيُّوض مقتصرين في هذه الجلسة على بعض الأعضاء: قاسم بن الحاج عيسى، بوحجام الحاج عمر، محمد بن حمَّو، عدُّون بن بالحاج. فتعرضوا للموضوع فلم يكن موقفه معهم هذه المرة كمواقفه في الجلسات السابقة؛ فقد اقتنع، أو رأى أن الوقت قد حان للعمل لإصلاح التعليم، وحماية المشروع من التصدُّع، وإنقاذه من سوء المصير، الذي ينحدر إليه بخطى سريعة. فاتفق رأيهم جميعا على مفاوضة الطرف الآخر في هذا الإصلاح، والإحراز منهم على حلٍّ مُرضٍ، فعقدوا معهم جلسة في

دار الشيخ بيُّوض.

وقبل الدخول في الموضوع بادروه بمسائل بسيطة أنكروها عليه، أخذت المناقشة فيها والرد عليها وقتا طويلا، لم يتوصلوا فيها إلى نهاية مرضية، وضاق الوقت عن تناول الموضوع الرئيسي فأحالوه إلى جلسة أخرى فقاموا على غير ميعاد.

وكان المراقب هو الشخص الوحيد الذي يهتمُّ بهذه الجلسات، ويسعى للموافقة على تقريرها وتحديد مواعيدها وتعيين أماكنها، ويتولى دعوة المشاركين فيها، وكم كان يعاني في ذلك من همٍّ وجهد وعناء، وكم كان يلاقي في سبيله من موانع وعراقيل ومماطلات.

وبعد الإلحاح المستمر والتتبُّع الطويل توصل إلى تحديد الميعاد للجلسة، فانعقدت في محل الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود، وبعد مفاوضات ومناقشات طويلة في القضية وقع الاتفاق على إدخال إصلاحات مبدئية منها: درس في التفسير يلقيه الشيخ بيُّوض على الجميع، ما عدا الصغار. ويتولى أيضا درسا في الفقه في كتاب النيل للشيخ عبد العزيز الثميني (رحمه الله) للطبقة الكبيرة. ودرسا في النحو في كتاب ابن عقيل للمتوسطين. ودرسا في الأخلاق في كتاب عظة الناشئين للشيخ مصطفى الغلاييني للصغار

والمتوسطين. ويتولى الشيخ الحاج عمر بقية الدروس من أصول الدين وفقهٍ ونحوٍ وصرفٍ لبقية التلاميذ ومختلف الطبقات.

وطلب الشيخ الحاج عمر كشرط لقبول هذه الإصلاحات نقل التدريس كلِّه في جميع الأوقات من دار المرحوم الشيخ الحاج عمر بن يحيى إلى داره. وقد سبق أن انتقلت إليه الدروس الليلية منذ شهور، فوافقوه على ذلك رغبة في إتمام هذا الإصلاح الذي اعتبروه نجاحًا كبيرًا؛ باعتباره بداية لإصلاحات أخرى وافية في مستقبل الأيام.

وقع هذا في صيف سنة: **1343**هـ، **1924**م وفيه تقدم الشيخ بيُّوض للتدريس في المسجد كشيخ له باتفاق بين العزابة، وذلك بعد سنتين من انخراطه في عضويتهم.

استمرت الدروس في المعهد على التعديل المتقدم شهرًا أو بعضه، فسافر الشيخ بيُّوض إلى الشمال لأشغال ضرورية تخصُّه، فأقام فيه شهرين تقريبا، وتعطلت دروسه، وسافر أيضا الشيخ الحاج عمر وزميله إلى ميزاب فجاءَا مزوَّدين – فيما يظهر– بتعاليم ظهر أثرُها في ميل بعض الكبار إلى جانبهم، وفي الحفاظ على بقية التلاميذ وحمايتهم من هذا التعليم الجديد الطارئ على المعهد، وفي التنكر لهذه الحركة القائمة فيه. كما ظهر أثر ذلك أيضا في وجوه

التلاميذ وفي سلوكهم غير المعتاد، وفيما يصرحون به من آراء ومسائل الخلاف لم يكونوا يتعرضون لها.

وهذا وصفُ الحالة من مسوَّدة لرسالة للمراقب كاتب بها الشيخ بيُّوض لما كان غائبًا مع تصرُّف يقتضيه الحال.

«... ولا تسل عن أحوال التعليم، فإنها تُبكي؛ وبالأخص بعد عودة الشيخين من ميزاب، فإنهما ومن معهما شرعوا ينشرون آراءهم بين التلاميذ في غير محضرنا، ويقابلوننا نحن بشيء من الفتور لم يكن معهودًا منهم، ويُبدون إشاراتٍ وتلميحاتٍ تدلُّ على ما يضمرون. ولم نصرح لهم إلى الآن بشيء ولم يصرحوا، ودروسُنا على حالها كما تركتها.

... فالمطلوب منك أن تُعجِّل بالرجوع فقد طال مكثُك...»

إلى أن يقول: «فإن فعلت فقد أدَّيت الواجب، وإلاَّ فسلامٌ على العلم والقرارة وميزاب والجزائر».

الشيخ أبو اليقظان بالقرارة واتصال المراقب به

كانت هذه الحوادث في صيف 1343هـ، 1924م، وخريفه، وقبل ذلك في ربيعه جاء الشيخ أبو اليقظان من تونس بعد غيبة طويلة، كان مشرفًا فيها على البعثة ومدافعًا عنها بقلمه، وكان

يتتبَّع عن كثب الحوادث التي كنا نصفها، ولم يشارك فيها، ولم تكن الظروف لتسمح بمشاركته، ولم يكن للمراقب أيُّ اتصال به أو علاقة ما، إلاَّ ما يسمع عنه أو ويقرأ له. وكان يتمنَّى الاتصال به ومجالستَه والاستماع منه فلم يتيسَّر له ذلك. وكان الشيخ يدعو إلى تأسيس نادٍ أدبي(2) يجمع شمل المتأدبين، ويشغل مواهبهم، فتم ذلك على إثر إصلاحات المعهد المقبلة، وتأسس تحت رئاسته، وكان من أعضائه الشيخ بيُّوض نائبا للرئيس، والشيخ الطرابلسي، وقاسم بن الحاج عيسى، وملالي الناصر بن صالح، وحريز عبد الله بن إبراهيم، والمراقب عدُّون بن بالحاج، رحم الله الذاهبين، وبارك في حياة

2 – هو كاسمه؛ ناد أدبي، وضع له قانونٌ أساسي، يجتمع أعضاؤه مرَّة كلَّ أسبوع؛ الغرض منه ممارسة الأدب العربي، نثره وشعره، والتشبُّع من روائعه، يعتمدون في ذلك كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني، يطالعونه ويتتبَّعون نفائسه، دراسة ومناقشة وبحثًا ونقدًا ومقارنة وحفظا لما يختارونه منه، وكتابة في المواضيع الأدبية من ذلك أنَّه طلب من الشَّيخ أبي اليقظان نظم قصيدة توديعًا للنادي لما عزم على السَّفر إلى تونس فأجاب، وهي منشورة في ديوانه. وطلب منه الشيخ بيُّوض تشطير قصيدة الشيخ سليمان الباروني، نظمها إشادة ببعثة تونس، أحفظ منها هذين البيتين:

بني الغرب أكبادُ الشباب تعطَّشـ ـت فلا تحرموهم ما إليه الورى هبُّوا

أروهمْ من الدِّين الحنيفيِّ أسّه ومن أمر دنياهم علومًا لها لُبُّ

ولا أدري مصير التشطير وهو نفيس ولا شكَّ أنه ضمن وثائقه.

الباقين ﴿ ▫♦☺♉✡⬀♑←☠ ♋□♊ ♎♦✿❀♦❀▤ ✝♦♦⬂⌛♦○←◷ ❐◆♎♉✡⬀&♋☠ ♊□♋ ③♦♈☞♦→♉❷⬉ ☎ ❐◆♎♦✍ ✉♦⑨●♋♒❐✂☎ ✍♦⌨⬀⑨♉③☒✝ ⬀❖❖♋⬀ ﴾ [الأحزاب:23].

وهنا تعرَّف الأخير بالشيخ أبي اليقظان، واتَّصل به تمام الاتصال، وتوطَّدت علاقته به، فكان يلازمه بالمجالسة عند محضره القصير، وبالمكاتبة عند مغيبه الطويل، وكانت هذه المكاتبة سجِلاًّ لهذه الحوادث الخاصَّة بالتعليم، وبحركة الإصلاح العلمي في القرارة.

وقد استمرت بعد ذلك خمسة عشر عاما، ثم انتهت باستقراره في القرارة في أوائل الحرب الكبرى. فكانت هذه المكاتبة خير باعث لقلم هذا الطالب الذي كان لا يعرف حركة، وخير حافز ومنشط له. وكان الشيخ يبادله إياها رسالة بأخرى يضمِّنها عواطفه النبيلة نحوه، وإرشاداته القيمة، وأنباء جهاده المتواصل أثناء غيبته في تونس للقيام بالبعثة، وفي الجزائر لانشغاله بالصحافة.

حضر الشيخ جلستين أو ثلاثا للنادي، فسافر وتركه لنائبه الشيخ بيُّوض، فسافر أيضًا كما تقدَّم فانقطعت الجلسات بسفرهما، وبأشغال الخريف الذي ينصرف فيه الناس إلى جذاذ التمر فتفتر الدراسة. ثم استُئنفت في بعض ليالي الشتاء، ثم انقطعت نهائيا فتوقف المشروع. ولكن تلك الجلسات على قلتها

تركت أثرًا كبيرًا في حياة الأعضاء الأدبية، وفي مستقبل الحركة العلمية بالقرارة. والمشروع وإن مات كجسمٍ فإنه حيٌّ خالد كروح.

الدروس في المعهد والمسجد وأثرها في الطلبة وعامة الناس

استؤنفت الدروس في المعهد بعد رجوع الشيخ بيُّوض من سفره، وسارت على الإصلاح المحدث فيه، واستأنف الشيخ بيُّوض دروس المسجد العامَّة بعد صلاة الصبح شتاءً، وبين العصرين صيفًا، مع درس بعد صلاة العشاء في كلِّ فصل صيفًا وشتاء.

كانت هذه الدروس في أعلى طراز، لم يكن للقرارة عهدٌ بها؛ دروس حية تبعث الحياة في القلوب الميتة، تدعو إلى الدين الصحيح والخلق المتين، وإلى الإصلاح العلمي والاجتماعي والاقتصادي؛ من إنشاء المدارس، وتعلُّم اللغات الأجنبية، والمشاركة في الوظائف العامَّة، وإنشاء الشركات... فأحدثت ثورة في الأفكار ويقظة في النفوس، وكان المسجد يغصُّ بالمستمعين من الجنسين، وكان الطلبة يحضرونها ويتتبعونها بكل اهتمام، أما الطبقة الكبيرة ـ أغلبها ـ فقد زادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأمَّا المتوسطون والصغار فأكثرهم يتلقونها بفتور

وإعراض واستنكار، ومن غير فهم على الوجه الصحيح، فيسارعون بها إلى المشايخ الذين يقابلونها كذلك بالإنكار الشديد، والتشنيع على الشيخ أمام هؤلاء التلاميذ، فكانت الحالة لهذا تزداد توترًا والخطر يزداد تفاقمًا.

يقع هذا والشيخ يقوم بدروسه المقررة حسب التعديل المتفق عليه في جلسات تقدَّمت، يلقيها في دار الشيخ الحاج عمر ويتحاشى فيها التعرُّض لما ينكرون، ويبتعد عن كل ما يثير الأوهام أو الشكوك.

موقف الشيخ بيُّوض من الحالة

إزاء ذلك كانت الجماعة تلتجئ إلى الشيخ بيُّوض أفرادًا وجماعات، فتصف له الحالة وتسأله رأيه في العلاج، فيسمع منها كثيرًا، وتسمع منه قليلا، لا ينقع غلة، ولا ينفس كربة، وقد يستهين بالأمر ويلتمس المعاذير، فتقوم عنه على غير طائل، تكرَّرت هذه الجلساتُ معه، ولاسيما الفردية منها التي تجمعه باثنين، منهم قاسم بن الحاج عيسى والمراقب، وقد يلتمس منهما في هذه الجلسات طُرق العلاج فيجتمعان على رأي واحد، أو يتقاربان من غير أن يبدي لهما رأيا قارًّا في الموضوع.

وفد من ميزاب إلى القرارة وأثره

في أثناء هذه الحالة جاء وفد من ميزاب في أوائل سنة 1925، للذود عن هذا المعقل (المعهد) الذي كانوا يعلقون عليه أكبر الآمال، مزودا بآراء وأفكار ورسائل وكتب تدافع عن هذه الآراء وترد على ما يلقيه وينشره الشيخ بيُّوض في دروسه من آراء وما يدعو إليه من إصلاحات.

أقام الوفد في البلد نحو أسبوعين قضى جلها في الاجتماع بالتلاميذ، ومن يرى رأيهم من المؤيدين؛ فكان له صدى كبير في البلد، أحدث فيها قلائل وبلبلة في الأفكار ضجَّ الملأ منها، واحتاروا ولم يجدوا للعلاج سبيلا.

الموقف الثاني للشيخ بيُّوض

راجعت الجماعة الشيخ بيُّوض بعد سفر الوفد في موضوع الساعة، والتمست منه العمل الجديَّ لعلاج الحالة، فتواعدوا على عقد جلسة خاصة تشمل الطبقة الكبيرة.

انعقد الاجتماع في دار الشيخ بيُّوض، واستغرق خمس ساعات متواليات، كشف القناع فيه عن نفسه المحجوبة عنهم أكثر من سنة، فلم يكشف عن حقيقتها لأخلص أنصاره؛ بسط الحالة

أوفى بسط، ففنَّد آراءهم وشبهاتهم وأوضح مغبَّة مسلكهم، وبين موقفهم منه، وموقفه منهم، وأبدى حكمة تأنِّيه وصبره وإرجاء هذه التصريحات إلى هذه الجلسة، وأفاض في الموضوع بما يشفي الغليل، ورفع عنهم كابوسًا كانوا يئنُّون تحت كلكله زمنا طويلا، فتنفسُّوا الصعداء، واقتنعوا لما سمعوا واطمأنوا؛ وما أروع ما سمعوا، وما أهنأ ما اطمأنوا إليه، وقاموا وقد بيتوا على أمر؛

فتية بيَّتوا على فعلِ خيرٍ

حمد الصبحُ أمرَهم والمساءُ

بقي النظر في الخطَّة السليمة التي يصلون بها إلى المبتغى من غير فساد ينشأ؛ فهناك وشائج جهدت الحوادث والأيام والمشايخ قبلهم في ربطها وتوثيقها يتعذَّر قطعها، وهناك عشائر عَقَدَت أواصِرَها المصلحةُ العامَّةُ يُخشى انقطاعها، وهناك أتباعٌ وأنصارٌ كانوا يتبعون وينصرون كتلة واحدة، يُخاف تقطُّعهم وتبدُّدهم، وتشيُّع هذا لذاك وهذا لذاك. وهنالك تلاميذ هم مَناط آمال هذه الأمة ومستقبلها، وهم أمانة بين أيديهم وأمناء عليهم أوفياء، يخافون أن يصبحوا آفة الأمة ومنبع فسادها، بعد أن وقعوا فيما وقعوا فيه من بلبلة في الأفكار، وتباعد في الآراء، فكيف السبيل إلى إنقاذهم مما وقعوا فيه وردهم إلى الصراط السوي.

ذلك أو بعضه ما عرض في هذه الجلسة التاريخية، وذلك ما

أرجأوا النظر فيه، وتركوه يختمر في الرؤوس إلى أن يجدوا له حلاًّ ملائما يرتكبون به أخف الضررين فإن الضرر ناشئٌ بالقطيعة لا محالة.

هنا نورد كذلك طرفا من مسوَّدةٍ كرسالة بعث بها المراقب إلى الشيخ أبي اليقظان في تونس، تصوِّر الحالة المتقدمة بعض التصوير، على شيء من ضعفٍ في أسلوبها، إذ كان حديث عهد بالكتابة[3] قال: «... بلغت الحالة بيننا إلى درجة لا يُرجى بعدها اتفاق، تشعَّبت المسالك، واضطربت الآراء والأفكار، حتى تكوَّن في المعهد فريقان مفترقان يتعذر اجتماعهما».

إلى أن يقول: «والشيخ بيُّوض واقفٌ أزاء هذه الحالة موقف المستبصر الحكيم، يتتبَّع الأمور عن كثب، ماضيا في أعماله يسمع ويرى ولا يبدي شيئًا حفاظا على الوحدة

ولكن إذا لم يكُن إلاَّ الأسنَّة مركبًا فما حيلةُ المضطرِّ
إلاَّ ركوبُها

ألقى علينا في جلسة خاصَّة درسا وافيا في الموضوع؛ وصف فيه الحالة أحسن وصف، وأطلعنا على أشياء كثيرة كنا نجهلُها، وعلى آراء كان يحتفظ بها، فرأينا نفسًا كبيرة يعجز قلمي عن

3 – كان ذلك في شهر مارس 1925.

وصفها».

أصبحت الجماعة بعد هذه الليلة الحاسمة يُعملون الرأي ويلتمسون طريق الحل، فاتفق رأيهم بعد اجتماع عقدوه أن يستشيروا في القضية السيد الحاج بكير بن الحاج إبراهيم العنق. فاجتمع به الجماعة بدون حضور الشيخ بيُّوض، فأفضوا إليه بتفاصيل القضية، وأفضى إليهم بما عنده، وبعد تبادل الآراء اتفقوا على عقد اجتماع بين الطرفين للمفاهمة وإزالة الخلاف. فإن وقع الوفاق – وإن كان بعيدا – فهو المطلوب، وإن لم يقع كان الافتراقُ على بيِّنة، وعلى عذر قائم أمام الله والناس. فقاموا على أن يراجعوا الشيخ بيُّوض في الأمر وأخذ رأيه. كان هذا في أول ليلة من رمضان من سنة 1342هـ، 1925م. فلما عرضوا عليه استحسن الخطَّة، وطلب أن يكون الواسطة بين الفريقين السيد الحاج بكير العنق والسيد حمو بن سليمان مجاهد، وأن يُرجأ هذا الاجتماع إلى نهاية رمضان. وكانت الدروس قد انقطعت في المعهد على إثر حضور الوفد السالف الذكر للاشتغال به، وكانت عودته في أخر شعبان، فاستمر انقطاعها لمناسبة رمضان، واضطراب الأحوال، ثم لم تستمر بعد.

انقضى رمضان فتواعدوا على الاجتماع في الليلة الثالثة من شوال في دار السيد مجاهد، وكان موضوع الجلسة استعراضُ

الأدوار التي جرت منذ بداية الخلاف، وما جرى بينهم وبين التلاميذ من إشراكهم في قضايا الخلاف الواقع بين المشايخ، فكان عتابٌ وتلاوم، وأخذٌ وردٌّ، ومناقشاتٌ لا يمكن تفصيلها، استمرت إلى مطلع الفجر، فرُفعت الجلسة على أن تُستأنف على الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم في محل السيد العنق. وبعد افتتاحها استعرضت خلاصة جلسة البارحة، ثم عادوا إلى صلب الموضوع ملتمسين طرق العلاج. فطلبوا أولا من الشيخ بيُّوض الجواب عن المسائل التي أنكروها عليه، فقال: أريد لذلك جلسة أخرى فلا يتَّسع هذا الوقت فانفضَّت الجلسة.

وبعد ذلك تفاوضت الجماعة ومعها السيد العنق في أمر هذه الجلسة، فاتفقوا على أن يحضرها جميع الطلبة الذين أشركوهم في هذه المسائل.

فأوفدوا السيد العنق إلى فريق الشيخ الحاج عمر لإعلامهم بهذا الاتفاق ليواعدوهم على الجلسة، وبعد تلكُّؤ أجابوا بالقبول. وتواعدوا على يوم معيَّن. فلما قرب الموعد أخبروه بأنهم لا يرضون بإحضار التلاميذ في الجلسة، بل ولا بواحد من الجماعة مطلقًا. ولتكن مقصورة على ثلاثة: الشيخ بيُّوض، الشيخ الحاج عمر، والسيد الحاج إبراهيم بن إسماعيل، وحاول جهده إقناعهم بالرضا

بما اتفقوا عليه أول مرة فأصروا على الامتناع، فأيقن وأيقنت الجماعة بأن ذلك إيذانٌ منهم بقطع العلائق والانفصال التام.

وبعد ذلك بيومين إعادة الكرَّة عليهم بصحبة السيد مجاهد حمو إقامة للحجة عليهم، فألحَّا عليهما في قبول الاجتماع، وحذراهما عاقبة الافتراق، فأصروا على موقفهما الأول، فأيسا من إقناعهما وقطعا كل رجاء، وقطعت الجماعة بدورها كل رجاء، وقررت الانفصال.

الدروس ونظامها في هذه المعاهد

لا يمكن أن نتصور حال معهد الحياة وتطوره منذ نشأته إلاَّ إذا عرفنا حال المعاهد قبله، وعرفنا المواد التي تُدرَّس، والأوقات التي تزاوَل فيها، ومستوى التلميذ سنًّا ومعرفة، والأساليب المتبعة في التدريس.

أما المواد فهي: العقيدة، والفقه، والمنطق، والعربية بأنواعها؛ من نحو وصرف وبلاغة. وتُخصَّص في رمضان دروس في الميراث والحساب في المسائل الأربعة ومبادئ الكسور، وحفظ المتون لهذه المواد كلها. أمَّا الأوقات فهي تختلف حسب الفصول شتاء وصيفًا؛ فالتوقيت الشتوي يبتدئ يوميًّا من نوفمبر وينتهي في أواخر أفريل. تبدأ الأعمال كلَّ يوم قبل الفجر بساعة تقريبا في المعهد للأعمال

الخاصَّة من حفظ وتكرار ومراجعة.

ومن صلاة الصبح إلى بُعيد طلوع الشمس في المسجد للدروس، وبعد ساعة تُستأنف في المعهد، إلى قُبيل آذان الظهر، وبعد صلاة العصر إلى قُبيل غروب الشمس، وبعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء للأعمال الخاصَّة كذلك، وبعد درس الوعظ العامِّ في المسجد، ثم بعد ساعة تستأنف الدروس الليلية في المعهد في نحو ساعتين. وهكذا مدى كامل الأسبوع، ما عدا عشيَّة الخميس إلى المغرب، وصباح الجمعة إلى العصر، وليس هناك عطلة سنوية إلاَّ ثلاثة أيام في كلٍّ من العيدين.

ويشترط على التلميذ الخاضع لهذا النظام أن يكون مستظهرًا للقرآن الكريم كلِّه؛ لا يسمح له أن يزاول فنًّا من هذه الفنون في أيِّ معهد إلاَّ إذا استوفى هذا الشرط. وقلما يستوفيه تلميذٌ قبل البلوغ، فهو بهذا يصبح أول دخوله في المعهد مبتدئًا في جميع الدروس وهذه الفنون.

أمَّا أساليب التدريس فهي في الغالب بعيدة عن المناهج الجارية اليوم، إنَّها دروسٌ تُشرح للتلميذ باللغة المحلية في الغالب، ولو كانت في الفنون العربية، دون تطبيق فيما يحتاج إلى تطبيق. ومن غير اختبار أو امتحان في أي مادَّة، غير أنَّ التلميذ يُطالب

بمطالعة الدرس قبل تلقِّيه، وبمراجعته بعده.

هذا وإن كان يفيده في حفظ الدرس وفهمه إن كان مجتهدا راغبا في التحصيل، لكنَّه لا يُكسبه في الغالب ملكةً في الفهم والتفكير، ولا اتساعا في المدارك والأفق العلمي، ولا انطلاقًا وتفتُّقا في اللسان، ومثلُ هذا التلميذ لا يساير الحياة الحاضرة ولا يتكافأ معها في ميدان.

والتلاميذ في هذه المعاهد يمكن تقسيمهم إلى مستويات ثلاث، أو إلى طبقاتٍ ثلاث حسبما أدركنا ذلك في معهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى:

أ- الطبقة الصغيرة هم المبتدئون في مستوى سلكة «الأجرومية» أو شرحها للشيخ خالد.

ب – الثانية في مستوى سلكة «القطر» لابن هشام.

ج- الثالثة في مستوى سلكة ابن عقيل «شرح ألفية ابن مالك»، ويلتحق بكل سلكة من هذه السلكات بقية المواد التي في مستواها.

افتتاح المعهد

التفت جماعة إصلاح التعليم بعد أن قرّرت الانفصال إلى البحث الجدي في فتح المعهد وتحديد موعده؛ فقررت أن يكون يوم الجمعة 28شوال 1343هـ، الموافق لـ 21 ماي 1925م. فوقع الافتتاح في دار الشيخ بيُّوض في وليمة أقامها الشيخ، تقدمتها ختمة القرآن، حضرها أعضاء حلقة العزابة وأعيان البلد وأبطال الحركة.

ومن الغد فتحت الدروس، فلم يجدوا من التلاميذ إلاَّ القليل، وبقيَّتهم تشتَّتوا، منهم من سافر لانقطاع الدروس أكثر من شهر، ومنهم من سافر إلى ميزاب لطلب العلم، ومنهم من رجع بعد الافتتاح مباشرة، ثم تتابعوا في الازدياد بتوالي الأيام.

اجتماع حاسم في المسجد

رغبة في توحيد الكلمة وجمع الشمل، وإزالة كلِّ خلاف رأى مجلس العزابة المشرف على البلد دينيًّا واجتماعيًّا عقد اجتماع عامٍّ لهذه القضية المصيرية حسمًا لكل خلاف، فتم هذا الاجتماع في ركن من أركان المسجد، ضمَّ أعضاء مجلس العزابة وعلمائه، وجماعة البلد وأعيانها، أذكر منهم: الشيخ أبا اليقظان، والشيخ إبراهيم بن بكير، فلمَّا اكتمل الجمع فتح الجلسة الشيخ الحاج إبراهيم بن يحيى سليماني رئيس العزابة (رَحِمَهُ اللهُ).

ثم أسند إلى الشيخ بيُّوض إدارة الجلسة، فوُضعت على بساط البحث مسألة القضاء التي حرموا فيها أن يتولَّى مسلم القضاء تحت سلطة المشركين، فطلب منهم مُستندهم في التحريم، فأبدوا رسالة حاولوا سردها، فطلب منهم الخلاصة شفاهيًّا، فتعثَّروا في الخطوات الأولى ولم يظهروا شيئًا مقنعًا، فأفاض الشيخ بيُّوض في الرد، مبيِّنا وجه الحق بالأدلة القاطعة، في أسلوبٍ اقتنع به جميع الحاضرين، واتفق المجلس على إعلان نتيجة الاجتماع في المسجد إظهارًا للحق، ودفعًا للشُبَه، وإزالة للحيرة والبلبلة. وقع ذلك مساء نفس اليوم في درس بعد صلاة العشاء. وكان هذا الاجتماع التاريخي الحاسم نهاية حميدة للخلاف المنتشر في البلد.

نظام المعهد وبرامجه

بدأ التلاميذ قدماء وجددًا، يتواردون على المعهد على توالي الأيام، يكرعون من حوضه الصافي ونميره الزلال. وقع الالتفات إلى تأسيسه أدبيًّا بوضع نظام صالح يساير الحياة الحاضرة بقدر ما تسمح به الظروف وتتيحه الإمكانات، فعُقدت لذلك جلساتٌ حضرها الشيخ أبو اليقظان الذي كان كاتبا لمحضرها ومسجلا لمقرراتها.

ونورد هنا النص المقرَّر من هذا النظام:

«... أما بعدُ، فلما كان التعليم في كافة الشعوب ولدى سائر الأمم آخذًا في التدرُّج والارتقاء، إلاَّ شعب ميزاب، ولاسيما بلدة القرارة منه، فقد بقي على أسلوبه القديم، القليل النتيجة، فكَّر بعض شبيبتها المخلصين، في وضع نظام للتعليم جديد يكون – وهو مزيج بين الأسلوبين– كحلقةٍ تصل بينهما، ريثما تتهيأ النفوس، وتسنح الفرص، وتأتي ظروف للأخذ بأكمل الأسلوب الجديد عملا بقاعدة النشوء والارتقاء.

وقد اعتبر في وضع أهمية العلوم في نظر الشعب ونفسية البلدة وذوق أهلها، وحالتهم الأدبية والمادية، والوقت الملائم لها، ومبلغ علم الواضعين له، وقد قُسِّم إلى قسمين: قسم يتناول دار العلوم، وقسم يتناول دار القرآن، وكان الواضعون له الأعضاء الآتية أسماؤهم:

الشيخ بيُّوض، قاسم بن عيسى، محمد بن حمو، عدُّون بن بالحاج، عمر بوحجام، صالح بن يوسف، عبد الله بن إبراهيم الدلال، الكاتب أبو اليقظان في أوائل محرم 1344هـ، أواخر ماي 1925م»

تحديد الغاية من التعليم

إنَّ الغاية التي يجب أن يجعلها المتعلِّم نصب عينيه نوعان:

عامة: هي طلب رضى الله، وشرف العلم نفسه، ونفي الجهل عنه.

خاصة: وهي تكوين الملكات العلميَّة في مختلف الفنون وتثقيف العقل، وتنوير الذهن، وتربية النفس، تربية صحيحة وإعدادها لتحمل قسطٍ من عبء الإصلاح الديني والمِلّي والوطني، فإن الدين والملة والوطن تطلب منا رجالا أكفاء للعزابة والقضاء والعدالة والوكالة والنيابة والإفتاء والتدريس والكتابة والخطابة والشعر ونحو ذلك من الأعمال الجليلة والمشاريع العظيمة والإصلاحات العامة.

تقسيم الطبقات: تنقسم الطبقات إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى:

تزاول الفنون الآتية في الكتب الآتية:

*- الفقه: «النيل».

*- الأصول: «طلعة الشمس»

*- البلاغة: «الجوهر المكنون».

*- النحو: «ابن عقيل».

*- الصرف: «شذى العَرف».

*- المنطق: «السلَّم».

الطبقة الثانية:

تزاول الفنون الآتية في الكتب الآتية:

*– التوحيد والفقه: «مختصر الخصال».

*– النحو: «القطر».

*– الصرف: «لامية الأفعال».

الطبقة الثالثة:

تزاول العلوم الآتية في الكتب التالية:

*– التوحيد والفقه: «تلقين الصبيان».

*– النحو: «الأجرومية».

*– دروس عمومية: كتاب «القناطر»، «عظة الناشئين».

هذا عدا النظام الخاص بشهر رمضان الذي يتناول الحساب والمواريث والتاريخ.

سير التعليم في المعهد

يتولى الشيخ بيُّوض أغلب الدروس بأسلوبه العالي؛ يعكف على إلقائها طول النهار وزُلفا من الليل، مضحِّيا في ذلك بكلِّ راحة وبكلِّ عزيز، استمر على ذلك ربع قرن لم تفل له عزيمة، ولم تفتُر له همَّة.

ويتولى المراقب عدُّون بعض الدروس للطبقة المتوسطة

والصغيرة، ودروسًا أحدثها بعد التأسيس في الأدب والإنشاء والإملاء والأخلاق، لم تكن داخلة في البرنامج، كما يقوم بالمراقبة العامَّة في المعهد في جميع الأوقات.

تخلى عن المعهد في السنوات الأولى من التأسيس غالبُ كبار الطلبة الذين سعَوا في تأسيسه لدخولهم في ميادين الإصلاح العام. وبقي المراقب مع الشيخ بيُّوض في الميدان ولا يزال فيه إلى ما شاء الله.

تواردت عليه البعثاتُ من ميزاب وأنحاء الجزائر ومن جبل نفوسة، فكانوا في السنوات الأولى أفرادًا قلائل، ثم نَمَوا نُمُوًّا مطَّردا على توالي السنين، إلى أن بلغ عددهم بضعًا وتسعين تلميذًا إبان الحرب الكبرى الثانية.

تطور المعهد

لم يقتصر المعهد على النظام الموضوع له عند افتتاحه، بل جرى على سنَّة التطور، فكان في تقدُّم مستمر على توالي الأيام، فقد أحدث فيه الشيخ بيُّوض دروسًا اجتماعية ووطنية وسياسية، ودروسا في بعض المجلاَّت والجرائد الشرقيَّة، وأكثرها مصرية

ك(الفتح)[4] و(الرسالة)[5] و(الصرخة)[6] وغيرها ألهبت في الطلبة الحماس الوطني، وكان لها أثرٌ بليغ في ثقافتهم العامَّة، وتطورهم نفسيًّا، وتربيتهم اجتماعيًّا وسياسيًّا، صيَّر منهم رجالا أكفَّاء برزوا في ميادين الإصلاح العام، فأبلوا فيها البلاء الحسن.

وأحدث لهم دروسا أدبية في كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وفي كتاب عصر المأمون للدكتور أحمد فريد الرفاعي، وغيرها من كتب الأدب، فانكشفت لهم بها من كنوز الأدب العربي القديم ما ملأ عقولهم، وصقل أذواقهم وهذَّب نفوسهم، وفتَّق ألسنتهم، وأسال أقلامهم، فكان منهم كتَّاب بلغاء وشعراء مبرَّزون، ودعاة

---

4 – مجلَّة أسبوعية لصاحبها: محبِّ الدِّين الخطيب، ذات اتجاه إسلامي قوي تنافح عن الإسلام بقوة، وتدافع عن المسلمين أينما كانوا، لها شعار تكتبه بجانب اسمها «أنت على ثغر من ثغور الإسلام فاحذر أن يؤتى الإسلام من قِبَلك» يفتتحها صاحبها بمقالات في غاية الرَّوعة يعالج فيها واقع الإسلام والمسلمين، ويشارك في تحريرها كتَّابٌ أوفياء للإسلام.

ولجمعية الشباب اشتراكٌ فيها يصل بانتظام بطريق تونس في طردٍ ضمن مطبوعات أخرى مضمن التبليغ.

5– لصاحبها أحمد حسن الزيَّات، عاصرت مجلَّة الفتح ذات اتِّجاه أدبي واجتماعي، يكتب فيها كتَّاب مبرَّزون بأساليب عالية أمثال مصطفى صادق الرافعي.

6– جريدة وطنية يُصدرها الحزب الوطني المصري، شديدة اللهجة، تجابه المحتلَّ بشدَّة وحماس، وتنازل المؤيِّدين له بقوَّة ومراس. عاشت هذه الدَّوريات من أواسط العشرينيات إلى أواسط الحرب الكبرى.

مرشدون.

ودرسًا في الحديث يوميًّا في كتاب مسند الربيع، يتتبع فيه حاشية أبي ستَّة، ثم في صحيح البخاري، يتتبع فيه شرح فتح الباري ببحث وتحقيق في الشريعة أصولها وفروعها، وكلِّ ما في الحديث النبوي من دينٍ وأخلاق واجتماع ومعاملات. بدأ فيه في أواخر سنة 1350هـ، 1931م، وختمه في ربيع سنة 1365هـ، 1945م.

أقيم له في الجامع لمناسبة ختمه حفلٌ رائعٌ حضره من الجنسين ما اكتظَّ به الجامع على رحبه.

تطور آخر

وفي سنة 1359هـ، 1940م، قامت إدارة جمعية الشباب التي يرأسها المراقب بتجديد النظر في النظام الجاري فوضعت نظامًا جديدًا عرضته على الشيخ بيُّوض فأقره بعد تعديل بسيط، قُسمت فيه الطلبة إلى أربع طبقات ثم زِيدت بعد سنة طبقةٌ خامسة، وأسندت فيه الدروس العامَّة والعالية إلى الشيخ بيُّوض، ووُزعت الدروس على خمسة معلمين:

*– المراقب عدُّون بن بالحاج شريفي.

*– عمر بن صالح أدَّاود الغرداوي.

*– علي يحي معمر النفوسي.

*– بكير بن عمر بيُّوض.

*– سعيد بن عبد الله الشيخ دحمان.

ووقع تعديلٌ في الدروس القديمة، وزيادة أخرى حديثة، واستبدلت بعض الكتب القديمة بكتب أخرى حديثة أوفى بالغرض، فكان الطلبة يحضرون للشيخ بيُّوض درس الحديث في الساعة الأولى، فيبقى من يبقى منهم مع الشيخ بيُّوض، يتلقَّون عنه دروسهم الخاصَّة، ويفترق الباقون على بقية المدرسين، فتتبادل الطبقات على المعلمين في الساعات الثلاث الباقية.

انتقال المعهد إلى المسجد

كانت هذه الدروس تلقى في دار الشيخ بيُّوض مدَّة خمسة عشر عامًا، فلما أحدثت هذه الطبقات، وتضاعف عدد التلاميذ، ضاقت بهم الدار فأصبح من الضروري التماس مجال أوسع، ولم يكن بدٌّ من العودة إلى المعهد الأول والأصل الذي انبعثت منه هذه العلوم أول نشوئها وهو المسجد. فانتُقل إليه في ذي القعدة 1360هـ، أول ديسمبر 1941م. فانتظمت بين جنباته الحلقات. فكان المسجد يعجُّ بالدروس، بين عامَّة وخاصَّة من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، طرف النهار للعامَّة، وبقية

الأوقات لطلبة المعهد، ويباشر الإدارة العامة فيه عدُّون بن بالحاج – مديرًا – ولا يزال.

سافر الأستاذ علي يحيى معمر نهائيا سنة 1364هـ، 1944م. فزيد بعده مدرسان هما: حواش يحيى بن سليمان، وأداود إبراهيم بن عمر الغرداويان.

بقي الأول سنتين فانتقل إلى غرداية، وبعد سنة أخرى لحق به عمر بن صالح فاشتغلا بالعمل في حقل العلم.

وفي سنة 1366هـ، 1946م، التحق بالتدريس الأستاذ إبراهيم بن يحيى الحاج أيوب –قرادي – فأبلى فيه بلاءً حسنا، ثم انتقل إلى العطف ليتولَّى التدريس في مدرسة النهضة آخر سنة 1367هـ، 1947م.

وفي سنة 1367هـ، 1947م انضمَّ إلى هيئة التدريس الأستاذ الشيخ الناصر المرموري الذي لا يزال فيه إلى اليوم؛ يتولَّى زيادة على ذلك دروس الوعظ والإرشاد في المسجد منذ حياة الشيخ بيُّوض (رَحِمَهُ اللَّهُ)، ودروسًا أخرى في مساجد ميزاب وأينما حلَّ في بلاد الشمال.

وبقي الأستاذ إبراهيم أدَّاود مجدًّا، فوضع من تأليفه سلسلة من الكتب الدراسية في الفنون التي يزاولها؛ من حديث وأصول

ومنطق؛ في نظام بديع وأسلوب طريف، لا تزال مقرَّرة في المنهاج ومستعملة. وفي نهاية سنة 1373هـ، 1953م، انقطع لتولى منصب العدالة في محكمة وهران الإباضية.

وفي أواخر سنة 1368هـ، 1948م، عاد الشيخ محمَّد علي دبوز[7] من مصر، فالتحق بالمعهد أستاذًا مدرِّسا من أبرز أساتذته، فتولى دروسا في الأدب والبلاغة وعلم النفس والتاريخ، وكان له أثرٌ بارز في تقدُّم المعهد وتطوره.

وفي هذه السنة انتخب الشيخ بيُّوض عضوًا في المجلس

---

7 – من أبرز طلبة المعهد اجتهادًا ونشاطا وتفانيًا في الطلب، قضى فيه ست سنوات أو تزيد. سافر بعدها إلى القاهرة، سلك إليها طريق البر مغامرًا معتمدًا على نفسه، والمعارك هنالك إبَّان الحرب الكبرى حامية الوطيس، فعكف في المكتبات مطالعًا ودارسًا وباحثا. وكانت له لدى الدوائر العلمية محاولات جادَّة للاعتراف بشهادة المعهد، خطا بها خطوات فتح بها الطريق لمن جاء بعده على إثر الاستقلال، منهم الدكتور محمَّد ناصر، والأستاذ إبراهيم مردوخ. اللَّذان سعيا في الطريق نفسه، فتوَّج مسعاهما بالنجاح. كانت شهادة المعهد معترفا بها لدى الجامعات المصرية، وقد التحق بها بعض طلبة المعهد اعتمادًا على هذه الشهادة. وللأستاذ علاوة على دروسه في المعهد تآليف قيِّمة منتشرة في أغلب الجامعات والمكتبات العامَّة في العالم، منها:

. تاريخ المغرب الكبير.

. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة.

. أعلام الإصلاح في الجزائر.

الجزائري، فانقطع عن مباشرة الدروس في المعهد، مكتفيا بالرياسة والإشراف العام، والتوجيه الرشيد، معتمدًا في مباشرتها على نشاط المدير وبقية الأساتذة، واقتصر هو على درس التفسير في المسجد.

سار المعهد على سنَّة التطور والارتقاء، يزداد على توالي السنين نظامًا وتحسُّنا في المناهج والأساليب، والزيادة في المواد والأساتذة والتلاميذ.

وفي أواخر سنة **1376**هـ، **1956**م، التحق به محمد بن بالحاج العايب أستاذًا آئبا من تونس، فأُسندت إليه بعض المواد الرياضية من جبر وهندسة وفيزياء في مستوى المتوسط، وقاسى في تدريس هذه المواد باللغة العربية مصاعب جمَّة لفقدان الكتب المؤلفة بالعربية في الموضوع آنذاك.

وبعد سنة أيضا التحق به بكير بن محمد الشيخ بالحاج فأُسندت إليه دروس في التاريخ والإنشاء وأصول الفقه وأصول الدين والتجويد، ثم بعد سنة أُسندت إليه مواد أخرى: مناهج العلوم، والعلوم الطبيعية، والنحو.

وبعد الاستقلال مباشرة دخل إلى الجزائر من بقي في تونس من البعثات العلمية، فانضم منها إلى المعهد: محمد بن بابا الشيخ بالحاج، وصالح بن الحاج إبراهيم باجو. فأُسندت إلى الأول دروس

في الشريعة وفي التاريخ، وله اليوم دروسٌ للعامة في المسجد، منها درس في التفسير بدأه من فاتحة الكتاب منذ سنتين.

وإلى الثاني دروس في الأدب والبلاغة والعروض.

ثم تتابع زيادة الأساتذة على توالي الأيام.

كان المعهد يسبر على نظام الطبقات؛ صغيرة ومتوسطة وكبيرة، حسب نظام المعاهد القديمة إلى أواخر الثلاثينيات، حتى تكاثر التلاميذ وتعدَّدت الحلقات، واضطر إلى الانتقال إلى المسجد كما تقدم. إذ ذاك أخذ بنظام السنوات، فاستقر في خمسٍ ابتداء من أول الأربعينيات إلى 1379هـ، 1959م، حيث زيدت فيه سنة سادسة.

ولما تطوَّرت الأحوال بعد الاستقلال كان من الضروري إعادة النظر في سير المعهد ونظامه ليواكب الحركات العلمية في الجزائر ومتطلبات العصر. فعقد اجتماع في الجزائر تحت رئاسة الشيخ بيُّوض حضره: الشيخ عبد الرحمان بكلي، وكثير من أساتذة المعهد وشخصيات تمثل وادي ميزاب، وأساتذة من أبناء المعهد، تخرجوا في كليات المشرق العربي لوضع نظام عام يساير الوضع الحاضر من غير أن يمسَّ شيئا من أصالته ومبادئه العامَّة. ويضمن تخريج رجال أكفاء وإطاراتٍ صلحاء تحتضن الدولةَ الجزائريَّة الفتيَّة وتتكفل

بحاجياتها.

دامت جلساتها أربعة أيام كاملة؛ وضعت فيها برنامجًا صالحا ارتفعت به كثيرًا عن المستوى القديم وقاربت به المستوى الحاضر.

كان الطلبةُ بعد تخرُّجهم في المعهد، بعد خمس سنوات أو ستٍ من دراستهم، يتوزعون على الميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية، حسب مؤهلاتهم وكفاءاتهم، فيسدُّون فيها فراغًا كبيرًا كان ينتظرهم من غير حاجة إلى شهادة تثبت مستواهم، فلما جاء الاستقلال وانتظم التعليم الرسمي، وانفتحت أبواب الإدارات العامَّة والوظائف المختلفة في وجوه المتخرجين، اضطر إلى شيء من التعديل في المواد وفي المناهج ليساير التعليم الرسمي في أكثر موادِّه ومناهجه، ليشارك طلبته في امتحان شهادة الأهليه في التعليم المتوسط، وشهادة الباكالوريا في التعليم الثانوي.

استمر المعهد كعادته في تطوره ونظامه وتقدمه فتواردت عليه في كلِّ سنة أفواجٌ من الطلبة، والتحق به كذلك زمرةٌ من الأساتذة تخرَّج أكثرهم في الجامعات، وبعضُهم من هذا المعهد، وفتحت فيه أقسام جديدة اقتضتها كثرة التلاميذ، كما قُسمت السنوات إلى فصول متعدِّدة.

وفي سنة 1396هـ، 1976م زيدت السنة السابعة، تختصُّ الأربع الأولى بالمتوسط، والثلاث الأخرى بالمرحلة الثانوية، فلما جاء التعليم الأساسي سايره في نظامه.

حفظ القرآن بالمعهد

كان حفظ القرآن واستظهارُه كاملاً شرطًا أساسيًّا للدخول في المعهد، كما هو الشأن في المعاهد قبله إلى أوائل الأربعينيات، حيث وقع التساهُل في هذا الشرط، فاستُبدل شرط الختم بالاستظهار، تسهيلاً لانخراط الطلبة، وتخفيفًا عنهم، واكتُفي بجعله مادَّة من المواد الأساسية.

يُقسَّم القرآن كلُّه إلى حصص؛ يستعرض الطالب كلَّ سنة حصة منها، مقسَّمة على فصول السنة، يحاسَب عليها ويُمتحن فيها كسائر المواد بمعامل كبير.

الغرض من التعليم في المعهد

الغرض من التعليم في معهد الحياة، وفي المعاهد قبله – كما رأينا سابقا – هو التربية الدينية بأوسع معانيها، وذلك بالتركيز على معرفة الله حقَّ المعرفة، والإيمان به إيمانًا يبعث على العمل الصالح والسلوك

الحسن، والخلق الفاضل؛ فالمواد والفنون التي يزاولها الطالب ويتعاطاها إنما هي وسائل وبواعث يتدرَّع بها ليكون رجلا تقيا صالحا، مؤهَّلا للدخول في ميادين الحياة، أيًّا كان نوعها، مجاهدًا في سبيل الله طالبا لرضاه وليعيش حياة طيبة أرادها الله له في قوله تعالى:

﴿③♦🕔✵🕯□⑨ᵒᵐ&□♋ ⌘♊③♋🔔⅄✎♋✂
✶✎ ☎✂□🡐🖮⑩✍↗♦✌⇔♋♋✂ ☎✂□⇖☪♦✌✂♦↗
⬀☠↗🖎♋♦⇖⍓⑩ ✂⬩❶♈❩ ✍✌□🡐♋▪❷🖪♋♍◙♦□
◙♍♋☺⍓♋ ⑥↗♦⬂⑩♋⓿⌛→☠⬀﴾.

ذلك هو الغرض الأسمى من التعليم في هذا المعهد، وتلك هي الميادين الأساسية التي تُقرَّر وتُشرح الشرح الوافي للطلبة في اجتماعاتهم العامَّة عند افتتاح كلِّ سنة من سنوات الدراسة، وعند كل مناسبة عارضة أثناء الدرس وخارجه، وفي كلِّ ما يرتبط بالمعهد من مؤسسات.

دروس الجامع

يتَّصل بالمعهد دروس الجامع العامَّة التي يتولاها الشيخ بيُّوض (رَحِمَهُ اللَّهُ) منذ سنة 1343هـ، 1924م، إلى أن توفي سنة 1401هـ، 1981م، وكان يخلُفه في غيبته الشيخ عبد الله، ثم الشيخ أبو اليقظان بعده كما تقدَّم. وأول هذه الدروس درسٌ في كتاب القناطر، افتتح به دروسه في الجامع بدءًا من أوله وختمه بأجزائه

الثلاثة سنة: 1357هـ، 1938م، في احتفال كبير نُشرت خلاصتُه في جريدة «الأمَّة» الغراء[8].

وأهمُّ هذه الدروس درس التفسير الذي بدأه من فاتحة الكتاب سنة 1354هـ، 1935م، وكان يعتمد فيه على تفسير «المنار» للشيخ رشيد رضا، ويضفي عليه من روحه العالية. ومن بيانه المستفيض، ما يبلغ به ذروة الكمال أو يكاد. فكان أعظم درس يلقيه وأروعه، وكان له الأثر البالغ في معارفهم وفي تطور حياتهم في جميع نواحيها ولاسيما طلبة المعهد.

وله أيضا دروس أخرى في أصول الدين، وفروع الفقه في «الذهب الخالص» و«الوضع» و«الحاشية» للشيخ اطفيش، وفي «جوهر النظام» و«مشارق الأنوار» للشيخ السالمي، و«السير» للشماخي.

كانت هذه الدروس كلُّها داخلة في نظام المعهد ومن صميمه، يحضرها جميع التلاميذ بدون استثناء، ويُحاسبون عليها مثل بقية الدروس.

وفي سنة 1375هـ، 1955م، اقترحت إدارة جمعية قدماء

---

8 – من جرائد الشَّيخ أبي اليقظان المعطَّلة على غرار أخواتها نهجا وأسلوبا ووطنية، وهي أطولها عمرًا، عاشت أكثر من ثلاث سنوات في أواسط الثلاثينيات.

التلاميذ في جلستها المنعقدة في أول أفريل، إحداث لجنة تضمُّ الشخصيات العلمية في ميزاب، تشرف على نظام المعهد وعلى برامجه، فلا يقتصر ذلك على معلميه فنُفِّذ الاقتراح بعد أن عُرض على المؤتمر بجمعية قدماء التلاميذ وعلى الشيخ بيُّوض فوافقوا عليه.

وكانت اللجنة مركَّبة من معلمي المعهد جميعهم، ومن الشيخ عبد الرحمن بن عمر من بريان، ومن الأساتذة أدَّاود عمر بن صالح، وفخار حمو بن عمر من غرداية، ڤرادي إبراهيم بن يحيى وكعباش محمد بن إبراهيم من العطف، الشيخ دحمان سعيد بن عبد الله وقاسم بن الحاج سعيد من القرارة. ويرأس هذه اللجنة مدير المعهد.

ويلاحظ أن أعضاء هذه اللجنة ما عدا الشيخ عبد الرحمن وأن جميع المعلمين في المعهد وفي مدارس الإصلاح بميزاب وفي الشمال من المتخرجين في المعهد الميمون.

المؤسسات المتصلة بالمعهد:

جمعية الشباب

في السنة الثانية من تأسيس المعهد أي سنة 1345هـ،

1926م، قام المراقب بتأسيس جمعية باسم: «جمعية الشباب» تكون ناديا أدبيا يتبارى فيه الطلبة في تطبيق دروسهم عمليا بالخطب والمحاضرات والمناظرات، وانتقاد الأعمال والسلوك وتبادل الآراء، فوضع لها قانونا أساسيا ولائحة داخلية أقرَّها الأعضاء بعد شيء من التنظيم والتعديل.

فاستمرت جلساتها بانتظام، واستمر تقدُّمها وتطورها باطراد، واتسع نظامها حسب تقدُّم واتساع المعهد، فبعد أن كانت في السنوات الأولى في طبقة واحدة، تتركب من نحو عشرة أعضاء. أصبحت في مئات من الأعضاء منقسمة إلى فرق وطبقات، تختصُّ كلُّ فرقة برئيس تعينه الإدارة من أساتذة المعهد للثانويين، ومن طلبة السنة النهائية للمتوسطين.

وبعد سنوات من تأسيسها أحدثت فيها إدارة تنتخب من بين أعضائها تشرف، على سيرها وعلى سير المعهد. وتولى المراقب منذ تأسيسها رئاستَها ورئاسة الإدارة، واستمرَّ عليها إلى أن انقسمت إلى طبقات في الخمسينيات. لكلِّ طبقة رئيسٌ يتولَّى تسييرها. واكتفى بالرئاسة العامَّة والإشراف والتوجيه، وتزاول نشاطها خارجِ أوقات الدراسة في المعهد أو المسجد.

كان لهذه الجمعية أثرٌ كبير في سير المعهد وتقدُّمه، بل هي الروح المسير، والدماغ المفكر، وكان لها نشاطٌ أدبي واجتماعي في جميع المجالات.

تقوم بحفلات أسبوع المولد النبوي في الجامع بعد حفلة ليلة المولد، التي يشارك فيها جميع الطلبة تلاميذ وغيرهم. ومهرجان كبير تَعرِض فيه ما تُنتجه من خطب بديعة ومن قصائد رائعة وأناشيد حماسية وطنية تتولَّى هي تلحينها، كما تقوم بحفلات الأعراس تستعرض فيها نشاطها الأدبي، وتقوم بمسرحيات تمثل فيها روايات من إنتاجها ومن المقتبسة، تجد لها مناسبات أو تفرض لها فُرصًا، وتقوم بتنظيم فرق فنية في فن رفيع يتنزه عن كل ما ينكره الدين الحنيف ويأباه الذوق السليم، وتتولَّى القيام بحفلات عامَّة داخل البلد وخارجه.

جريدة الشباب

كان للجمعية جريدة باسم «الشباب» أنشأتها على إثر تأسيس الجمعية، تصدُر كلَّ أسبوع ويشارك في تحريرها جميع الطلبة. ويكتبها أحسنُهم خطًّا، ويجتمعون على قراءتها في وقت خاص، ثم تطوَّرت إلى معلَّقات حائطية متعدِّدة، مزيَّنة بالرسوم والألوان، تتولَّى

كلُّ فرقة من فرق الجمعية معلقة باسمٍ خاص وتتنافس في تجويدها وتطويرها.

ولهم علاوة على ذلك مجلَّة باسم «الشباب» ثم باسم «الحياة»، كانت شهرية ثم عادت فصلية تتناول مباحث متنوعة من أدب وفقه وتاريخ.

كان لهذه النشريات أثرٌ كبير في تثقيف العقول وتنمية المواهب، وحسن التعبير وترقية الأساليب، فكم من كاتب ضليع وشاعر فحلٍ وخطيبٍ مِصقع يُلهب الجماهير كانت له في هذه الدوريات مراقيَ إلى أوجِ المعالي والشهرة.

مكتبة معهد الحياة

هي تابعة للمعهد، تكونت نواتها ببعض عشرات من كتب الشيخ بيُّوض التي كانت عنده في داره المسماة «دار القراءة» وتسمَّى اليوم «مكتبة الحياة». وهذه الكتب منها ما اشتراها من حرِّ ماله، ومنها ما أُهدي له من بعض أصدقائه من المحسنين المناصرين للحركة الإصلاحية في ميزاب. وبعضُها من طلبة البعثات الأولى إلى تونس، وبعضُها من تركات بعض المشايخ أو طلبة العلم، وكثير منها منصوصٌ على توقيفه في مكتبة الحياة في القرارة، وأغلبها أمهات في التفسير والحديث واللغة العربية والمنطق والتاريخ

الإسلامي.

لما انتقلت حلقات التدريس من دار الشيخ بيُّوض إلى المسجد، وكانت خزائن الشيخ المتواضعة لا تسَع كلَّ كتبه، نقل البعض منها إلى دار إيروان والمعهد. وفي الخمسينيات تطور برنامج المعهد، فأضيفت إليه بعض المواد العصرية، مثل الرياضيات والعلوم والتاريخ العام، نُظمت المكتبة وضبطت في فهرس عام حسب الفنون أسندت مهمتها إلى أحد الأساتذة، ومنذ ذلك الحين شرعت الجمعية في إثرائها بكلِّ الكتب المهمَّة في جميع الفنون، كما أرشد الناس في غير مرة إلى أنها هي الصدقة الجارية، وهي العلم الذي يُنتفع به، فكان ولا يزال ذوو المكاتب يوصون بها إليها. كمَّا خُصِّص لها محلٌّ خاص وأعيد تنظيمُها وتبويبها، وأسندت مهمَّتها إلى القيِّم الحالي «مصطفى بن بكير حشحوش» الذي أدخل عليها بعض الأنظمة الحديثة مثل الفهارس واستعمال البطاقات.

تضم اليوم ما يزيد على 6000 عنوان في جميع الفنون وأغلبها باللغة العربية وفي الشريعة الإسلامية.

*- للمكتبة فهرس عام في دفتر حسب تسلسل الكتب في الرفوف.

*- وفهرس آخر حسب الفنون.

*- وفهرس أبجدي في البطاقات حسب عنوان الكتاب.

*- وفهرس أبجدي في البطاقات حسب مؤلف الكتاب.

*- فيها بعض الدوريات وهي قليلة محصورة وغير منتظمة.

*- فيها قسم للأشرطة المسموعة وأغلبها لدروس الأستاذ الإمام الشيخ بيُّوض (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) منذ 1960.

وفي سنة 1988 أضيف لها قسم الأشرطة المرئية (الفيديو) وهو في طور التكوين.

داخلية الحياة

كان الطلبة يتواردون على المعهد في السنوات الأولى من خارج القرارة أفرادًا وجماعات. وكانت لهم دور يسكنونها وسط البلدة. يتبرع بها المحسنون، أو تُكرى لهم، وكانت تأويهم دار واحدة، إذ كانوا أفرادًا معدودين، فلما تكاثروا أصبحوا لا تسعهم دار واحدة، ولا داران.

فاضطر الشيخ بيُّوض إلى إنشاء داخلية كبيرة ذات طبقات تأوي جميع الوافدين. بناها في الخمسينيات في ضاحية من ضواحي البلدة. بنيت على طراز بديع تشتمل على مرافق تفي بجميع الحاجيات وتحتضن مئات الطلبة.

لها نظام كأرقى ما يكون نظام الداخليات معنويا وماديا، من

حيث التربية الصحيحة، والعشرة الطيبة، والسلوك الحسن، والمراقبة الصارمة، ومن حيث المأكل والمشرب والمرقد، ولها لقاءات وجمعيات أدبية وفرق فنية، علاوة على مشاركتها في سائر مؤسسات المعهد، ولها ميدان فسيح مسوَّر خارج البلدة للترفيه والنشاط الرياضي.

جمعية قدماء التلاميذ

غرس المعهد في التلاميذ بذور المحبة والإخاء والصفاء، فرسخت في النفوس وترعرعت وأثمرت وُدًّا صادقًا متبادَلا، وارتباطا متينًا لا تَفصم عُراه الحوادث والأيام. فكان الذين أكملوا دراستهم وانقطعوا عنها لأسباب قاهرة يتلاقون بمقتضى هذه الروابط المتينة، في اجتماعات متوالية للسهر وللمداولة في أحوالهم الخاصَّة والعامة، وفي ما يهمُّ الأمة في مصالحها، وبالأخص ناحية التعليم منها، فيتخذون من هذه اللقاءات منتديات أخوية ودِّية، تجتمع كل أسبوع في الغالب. فاستمروا على هذه الحالة سنوات.

ثم فكر بعض أفرادها البارزين وعلى رأسهم مدير المعهد في جمع شمل الطلبة المتفرِّقين في ميزاب وفي أنحاء القطر المتخرجين في المعهد، وفي ضمَّ جهودهم الإصلاحية وجمعهم في إطار واحد، فوجهوا إليهم دعوة خاصة باسم المدير للحضور في اجتماع عام

يُعقد في القرارة يوم 5 أوت 1948، فلبى الدعوة أغلبُ المدعوين الذين تجاوزوا الخمسين، عدا الحاضرين بالبلدة، فانعقد الاجتماع في المقر القديم للمعهد – محل الشيخ بيُّوض – وتحت إشرافه، فألقى المدير خطابًا هامًّا، بيَّن فيه الغرض من هذا الاجتماع وهو جمع شمل التلاميذ القدماء، وتنظيم العمل لإصلاح الأمَّة، ومساندة الشيخ بيُّوض في جهاده المتواصل؛ ننقل منه بعض الفقرات:

«إخواني الأعزاء، نجتمع اليوم في هذا المجلس الحافل أمام أستاذنا لا كتلاميذ يتلقَّون دروس التهذيب والتثقيف، كما كنَّا معه في سالف العهود، وإنَّما نجتمع كجنود مدرَّبين مزوَّدين بالقوة الكافية للنزول إلى ميادين الكفاح، أمام قائدهم الأعلى؛ يُشرف على أعمالهم عن كثب، ويستعرض برامجهم في الكفاح وخططهم في الجهاد.

نجتمع اليوم في هيئة معتبرة لها مركزها ومكانتها في المجتمع، هيئة جمعية قدماء التلاميذ التي يضم إطارُها كلِّ تلميذ تلقَّى دروسه عن الشيخ بيُّوض أو عن تلاميذه.

نجتمع اليوم كمؤتمر عامٍّ لهذه الجمعية لتنفيذ أغراضها الأساسية من جمع شتات الأعضاء والمحافظة على الروابط المتينة التي عقدها المعهد زمن الدراسة، وبث تعاليم الأستاذ في نفوسهم،

وفي الأوساط التي يتصلون بها، وخدمة المشاريع العلمية بجميع الوسائل، والمشاركة في الإصلاح العام بقدر الاستطاعة، والنزول إلى ميادين الكفاح بصورة منتظمة وخطط مرسومة، تحقِّق الغاية المطلوبة.

ذلك هو الغرض النبيل الذي حملنا على عقد هذا المؤتمر، ودعونا إليه من قريب وبعيد كلَّ من يستطيع القيام بمهمته، ويتحمَّل أعباء تكاليفه الشاقة.

أيها الشباب المنتسب إلى أفلح[9]، كلُّكم تعلمون بطولته في جميع الميادين التي خاضها ويخوضها في الكفاح والجهاد، وكلكم تلاميذ لهذا البطل الفذ، وجميع الدروس التي تلقيتموها عنه تغرس في نفس كلٍّ منكم البطولة، وتسقيها وتتعهدها بالتربية والنماء، وتكوِّن منه بطلا في الحياة، فنحن بمقتضى هذه النسبة وبموجب هذه التلمذة مسؤولون أمام الله والناس والتاريخ عن تحقيق هذه النسبة، بما تظهره في ميادين الحياة من مظاهر البطولة التي ظهر بها أستاذنا العظيم.

يجب أن نتشرَّف بهذه النسبة، ونتباهى بها، ونملأ بها أفواهنا،

---

9 – هو الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيُّوض؛ كان تلاميذه المقربون إليه ينادونه ويراسلونه بهذا الاسم.

مفتخرين بعد أن تفتخر بها أعمالنا في الحياة. يجب أن يكون كلٌّ منا بطلا ممتازًا كما كان زعيمنا بطلا ممتازًا. فإذا لم تقتض ذلك سنة الله، وكان خارجًا عن نطاقنا منفردين، ففي استطاعتنا أن نكون ذلك البطل مجتمعين، نملأ ميادين الحياة بالبطولة والكفاح كما ملأها قائدُنا، فيصبح كل واحد منا حينئذ بيُّوضًا يحمل بطولة بيُّوض، وتحلُّ بين جنبيه روحُ بيُّوض، إنَّه لا يستمد قوته من نفسه المحدودة الصفات الناقصة المواهب، وإنما يستمدُّها من هيئة مشخَّصة، استجمعت ما توزَّع بين أفرادها من صفات البطولة. فكانت قدرًا مشتركًا بينهم، وهي الهيئة التي ينتمي إليها، ويرتبط معها بالوصف المشترك وبعهود ومواثيق عاهد بها، ويضمُّ أفرادها إطار جمعية قدماء التلاميذ».

إلى أن يقول: «إخواني الأعزاء، إنَّ أول واجب يتعيَّن علينا كدعاة مرشدين أن نبدأ ببث هذه التعاليم والإصلاحات في نفوسنا، فنرشدها قبل أن نسعى في إرشاد غيرنا، ونصلحها قبل أن نتقدم إلى إصلاح غيرنا، ونجنبها مواطن الزيغ قبل أن نجنِّب غيرنا، ونظهر في سمتنا وأخلاقنا وسلوكنا بمظهرٍ يشرفنا ويشرف أستاذنا الذي نتشرف بالانتساب إليه.

يجب أن نكون قدوة حسنة ومثلاً أعلى في الصالحات

لكلِّ من نريد إصلاحه وهدايته، فذلك هو الأساسُ المتين الذي نبني عليه نهضتنا، ونرفع عليه صرح مجدنا، فإذا حقَّقنا هذه الغاية في نفوسنا تحققت لنا جميع الأهداف التي نرمي إليها، وضمنَّا النصر العزيز.

إن ألدَّ عدو للأستاذ وللملتفين حوله من دعاة الإصلاح هو من ينتسبُ إليهم بقوله ويدعو إلى تعاليمهم بلسانه، ولكن يخالفهم في أعماله، بسوء السلوك وفساد السيرة، وإنَّ خطر هؤلاء على الإصلاح أعظم بكثير من خطر أعدائه المكشوفين الذين يقاومونه وجهًا لوجه فهؤلاء لا تزيد مقاومتهم للإصلاح إلاَّ قوَّة ونشاطا وتقدما في السير، وأولئك لا يزيدونه بسلوكهم المشين إلاَّ ارتكاسًا وانتكاسًا وتعثُّرًا، فاحذروا إخواني هذا المصير، وجنبوا أنفسكم والإصلاحَ هذا الخطر الكبير.

هذه كلمةٌ مختصرة تعجَّلتُ بها لأنَّ المقام يقتضيها، ولأنها الأساس الذي نبني عليه أعمالنا، فلتجد في نفوسنا قبولا وارتياحا، ولتحلَّ منها المحلَّ اللائق بها حتى ترسخ فيها وتتمكَّن، وتؤثر التأثير المطلوب» اهـ.

ثم تلاه خطباء يفرغون ما في قلوبهم من أنبل العواطف نحو المشروع، ونحو الأمَّة، ويؤيدون الداعي كلَّ التأييد.

ثم قُدمت برامج واقتراحات وقع البحث فيها وتقرير الصالح منها في جلسات توالت ثلاثة أيام، ثم تُوج المؤتمر بخطاب بديع تاريخي من الشيخ بيُّوض، استغرق ساعتين ونصفًا، كلُّه روائع وتوجيه للشباب إلى المثل العليا.

وأسفر المؤتمر عن تأسيس جمعية باسم «قدماء التلاميذ»، وانتخب لها مجلسٌ إداري، يرأسه مدير المعهد بعد أن وضع قانون أساسي لها يتضمَّن أغراض الجمعية وتشكيلها.

وأهم أغراضها ما يلي:

1- توجيه التلاميذ المتخرجين في المدارس إلى صالح الأعمال وتحقيق غايتهم من طلب العلم.

2- إرشاد من ظهر منه انحرافٌ عن الصراط السوي اللائق بمقام المتعلمين.

3- معاضدةُ المشاريع العلمية ببثِّ الدعاية إليها وإعانتها بكلِّ ممكن.

4- العمل للإصلاح العلمي والاجتماعي بكلِّ الوسائل الممكنة على حسب الاستطاعة.

5- إعانة التلاميذ الفقراء العاجزين عن إتمام دراستهم.

ثم قُدم طلب الرخصة لها، فتحصلت عليها في وقت قصير

لم يتجاوز شهرًا، وكان مركزها القرارة، وفُتحت لها على إثر تأسيسها فروعٌ في غرداية وبريان والعطف وبنورة، ثم الجزائر ثم البليدة وسطيف والعلمة وقسنطينة وباتنة وبسكرة وعين البيضاء وتبسة وسكيكدة.

كانت عضوية الجمعية تخصُّ التلاميذ المتخرِّجين في المعهد فقط، ثم عُمِّمت فشملت كلَّ تلميذ تخرَّج في مدرسة نظامية خاصة أو عامة.

وتتشكل إدارتها من أربعة أعضاء للمكتب في القرارة مقر الجمعية، ومن رئيس فرع غرداية ونائبه، ورئيس فرع الجزائر ونائبه، ورئيس كلٍّ من فروع بريان والعطف وبنورة.

وعينت لها لجنة قائمة في المركز تباشر أعمالها، وتجتمع إدارتها العامة مرتين في السنة في المركز. وتجتمع الجمعية كلُّها بصفة مؤتمر مرة في كلِّ سنة في بلدة من بلاد ميزاب، تعيِّنها الإدارة العامة على التداول.

ثم احتضنت الجمعية لجنة توحيد التعليم المؤسَّسة قبل تأسيس الجمعية بسنتين، اندمج فيها مؤتمر المعلمين التابع للجنة التوحيد، فكانت هي المسيطرة على التعليم الابتدائي في مدارس الإصلاح في ميزاب وفي الشمال؛ تضع لها الخطط والبرامج

والمناهج، وتشرف على تنفيذها، وعينت مدير المعهد مفتشًا عامًّا لها يجول عليها جميعها مرَّة في كلِّ سنة. واستمر التفتيش جاريا إلى سنة 1984 حيث عجز القائم به عن متابعة هذه المهمة الشاقَّة.

استمرت الجمعية بأصلها وفروعها في نشاط جاهد، وتقدم مطَّرد تنفذ أغراضها التي أسِّست لأجلها وزيادة، بكل وفاء وأمانة وإخلاص. وكانت تساند الثورة خارج إطارها بكلِّ ما تحمل من إيمان يدعو إلى الجهاد وغيرة وطنية وبُغض للدخيل، وبكلِّ ما في وسعها من توعية ودعاية وإمكانات.

استمرت على ذلك منذ تأسيسها إلى سنة 1383هـ، 1963م، حيث هاجمتها السلطة العسكرية يوم اجتماعها العام في القرارة، وحاصرت مقرَّ الاجتماع بالجنود والسلاح، وفرَّقت المجتمعين بالقوَّة ومنعتهم من كلِّ اجتماع.

وكانت هذه العملية السافلة بإيعاز من المنحرفين الحزبيين المناوئين والمعارضين لإصلاحاته ومؤسَّساته؛ فكم سَعَوا وبذلوا من جهود لدى الدوائر المحلية والدوائر العليا في هدم هذه المؤسسات الخيرية، وإبطال نظام العشائر والحراسة التطوعيَّة وملاحقة جمعية القدماء وفرق الكشافة، ولكن هذه الدوائر كانت أعقل وأحكم من أن تمسَّ بسوء مشاريع أسُّست على تقوى من الله ورضوان،

وكانت عزًّا للدين ومفخرة للوطن.

فباؤوا بالخيبة وخسران الدنيا وخزيها، ثم خسران الآخرة، إن لم يعودوا إلى الرشد. وبعض هؤلاء من تلاميذ الشيخ بيُّوض الذين ارتفعوا على أكتافه وسموا بتربيته وتعاليمه، وكانت لهم مكانة سامية لدى الأمَّة، فلما انحرفوا وتنكبوا عن الجادة سقطوا، وهوت بهم الريح في مكان سحيق، ولم يزد كيدُ هؤلاء للإصلاح وأهله ومكرُهم بهم وبمشاريعهم إلاَّ تقدمًا ونشاطا وازدهارًا. ولا يزيد أولئك إلا انحطاطًا ومقتًا عند الله وعند الناس، ولا يحيقُ المكرُ السَّيِّءُ إلاَّ بأهله، والعاقبة للمتقين.

ثم أعيد تأسيس الجمعية من جديد بالقرارة خاصة من حيث الترسيم، وعامة بالجنوب والشمال كما كانت في جميع مجالاتها ولا تزال بإذن الله.

الكشافة

يعمل المعهد لتخريج التلميذ رجلاً كاملاً في رجولته، مثقفا في عقله مهذبا في نفسه، قويا في بدنه. ولكي يضمن له هذه القوى فكَّر مسيروه في الأعمال الكشفية التي تحقِّق في التلميذ ما يصبو إليه من كمال فأحدثوا فرقا كشفية سنة 1363هـ، 1943م، والحربُ الكبرى حاميةُ الوطيس، فكانوا يدرِّبون على أعمال الكشف

بصورة غير منتظمة ثم جاءت جمعية القدماء سنة 1368هـ، 1948م، فأسَّست جمعية باسم «كشافة الجنوب» في نفس السنة، فانتخبت لها إدارة تسيرها وتشرف على أعمالها، يرأسها المدير أيضا، فاستصدرت لها رخصة رسمية، فصدرت مع رخصة جمعية القدماء في آن واحد.

وكان مركزها القرارة أيضا، وبعد سنتين جلبت لها من الجزائر العاصمة أخصائيا في الأعمال الكشفية، فخرج بهم في جمع غفير إلى الصحراء في مخيَّم أقاموا فيها أربعة أيام. فتخرَّج عنه رؤساء مديرون يتولَّون تسيير الكشافة، ويبثُّون تعاليمها في الأعضاء الداخلين فيها، وكلُّهم من تلاميذ المعهد وكبار مدرسة الحياة.

استمرت في نشاطها بعد الاستقلال سنوات، وفي أوائل السبعينيات أوقفتها السلطة المحلية تعسُّفا، ثم استأنفت نشاطها تحت منظمة الشباب باسم «فوج الحياة» ولها أفواجٌ أخرى بأسماء مختلفة.

لها تدريبات أسبوعيَّة تتدرب فيها على الأعمال الكشفية، وتقوم بخدمات تطوُّعية في المشاريع الكبرى، من المساجد والمدارس ودور العشائر والسدود، وتقوم بالخصوص بالتدريب على تسلُّق النخيل وما تتطلَّبها من تشذيبٍ وتأبيرٍ وتعديل العراجين وجذِها

عند نضجها، والفلاحة الرئيسية في هذه البلاد هي النخلة.

تقوم برحلات للتخييم في مختلف نواحي الصحراء القريبة والبعيدة، وفي غابات الشمال وعلى الشواطئ، وقد قامت برحلة مشيًا على الأقدام ذهابًا وإيابًا في أيام من شتاء شديدة القر والصر من القرارة إلى جميع بلاد ميزاب، وقامت بأخرى مثلها في صيف سنة 1407هـ، 1987م، باسم «قافلة مفدي زكرياء» من القرارة عبر الصحراء إلى الجزائر العاصمة، قوبلت بحفاوة كبرى من مسؤولي كلِّ بلدة حلَّت بها، وقوبلت في العاصمة بحفاوة وإكبار وتكريم من السلطات العليا، ونوَّهت بها مختلف أجهزة الإعلام، وكانت بادرة طيبة نالت إعجاب الجميع.

كما تقوم بتنظيم الحفلات وتشارك فيها بأنواع النشاطات فتزيدها زينة وروعة وجمالاً.

خاتمة

ذلك هو معهد الحياة في نشأته وتطوُّره وما يتصل به من مؤسَّسات يمدُّها بالحياة وتمدُّه. وتلك هي المراحل التي قطعها، والتطورات التي مرَّ بها، ومرَّت به، وكان كما أراد له مؤسِّسوه – بفضل الله وتوفيقه – مؤسَّسا على تقوى من الله ورضوان؛ أقاموه وقاموا فيه على الدين القويم والصراط المستقيم، الذي رسمه الله ورسوله لعباده الصالحين، ليسعدوا به في دنياهم وأخراهم. وإنه لطريق مرسوم مُعبَّد محفور إلى الركبة، لا يمكن الخروج منه إلاَّ بالوثبة –كما قيل –، بذلكم غدا المعهد حلقةً ذهبيَّة من حلقات نسب الدين لهذه الأمَّة، التي أراد الله أن تكون خير أمَّة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، تبتغي في ما آتاها الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبها من الدنيا.

كان هذا المعهد – والحمد لله – وريث مدرسة أبي عبيدة قديماً، ووارث المدرسة القطبيَّة حديثا؛ إذ خرَّج – ولا يزال – أفواجًا تلو أفواج من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا، اهتدوا وهدوا أمَّتهم إلى أقوم طريق، وقادوها ومازالوا يقودونها بحنكة

وحكمة في مختلف مجالات الحياة الروحية والمادية.

وقد أنعم الله على مؤسِّسي ومسيِّري هذا المعهد أن يروا أبناءهم الروحيِّين من ثمار هذه الدوحة الطيبة المباركة، منبثِّين على مراكز قيادة الأمَّة هنا وهناك، داخل القرارة العزيزة وخارجها، وداخل الوادي الأمين وخارجه، وداخل الجزائر الحبيبة وخارجها؛ في المساجد والمنتديات، وفي المدارس والثانويات، وفي المعاهد والجامعات، كما يشغلون مختلف ميادين الحياة من اجتماعية واقتصادية وإدارية وسياسية، ولهم في جميع هذه الميادين مقامات معلومة ومراكز ممتازة.

تلك نتائج المعهد في ماضيه وحاضره، فماذا أعددنا لحياته المقبلة التي نرجو أن تكون أوفى وأسعد وأطيب وأزهر، وأن تكون ممتدَّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

ماذا أعددنا من أبنائنا إذا أردنا لهم السعادة الحق؟ وماذا أعددنا من إمكانات إذا أردنا أن نكون مجاهدين في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا؟ فهل نحن على استعداد للتضحية ببعض ما ضحَّى به سلفُنا من المؤسسين والمرابطين في هذا المعهد؟

إنَّ هذا العصر – والله – لأحوج ما يكون للتفقُّه في

الدين أكثر من كلِّ عصر، ليعرف كل مسلم طريق ربه المستقيم، ويعلم حلاله وحرامه من هذه النوازل المحدثات، وفي هذه الأمور المتشابهات.

إنه والله لن يصلح آخر هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلُها، وإنه لم يصلح أوَّل هذه الأمَّة إلاَّ بالدين الحنيف، وإنَّ هذا الدين الحنيف لم ينشره ولا ينشره إلاَّ هذا المعهد وأمثاله من المعاهد المؤسَّسة على تقوى من الله ورضوان.

فرضي الله على مؤسِّسيها، ومسيِّريها، والآمين إليها، والمرابطين فيها، فتلك حقًّا الهجرة إلى الله ورسوله، وذلك حقًّا أفضل الجهاد.

☎✂❒←⑨⌧♑🕔⌧♉ ♊③♋🔔✈✏✍✂◆❒
⬀☠⬋&❒❅◆③♋⑨⬀&⬥❅⬥♐♌ ✍◆☪⑩♋▫
✈✏✍✂ ❒♌♏♍◆❒ ✍◆☪■🖫⬅🖮←♒
⬗♋♌⬀ ⬥✖✓♋☪⬁○⬄⬥←☺⬂♐♌✍✂ ⌧⬈⌧☺⬥♐

جدول بالأساتذة الذين درَّسوا بالمعهد

منذ تأسيسه حتى سنة 1989م

اسم الاستاذ	المادة المدرسة	البداية	النهاية
الشيخ بيُّوض إبراهيم بن عمر	عربية، شريعة	1925	1981
الشيخ عدُّون بن بالحاج	نحو+ مدير المعهد	1925	لا يزال
عمر بن صالح أدَّاود	نحو، قرآن	1936	1948
سعيد بن عبد الله الشيخ دحمان	نحو	1936	1939
قاسم بن الحاج سعيد بسيس	جغرافية	1937	1938
إبراهيم بن باحمد حجاج	نحو	1938	1939
بكير بن عمر بيُّوض	شريعة	1938	1985
محمد بن حمو ابن الناصر	فقه	1938	1940
علي يحيى معمر النفوسي الليبي	لغة عربية	1940	1944
إبراهيم بن عمر أدَّاود	شريعة وفنونها	1944	1947
يحيى حواش	شريعة	1944	1947
إبراهيم بن يحيى الحاج أيوب (قرادي)	أدب	1944	1947
ناصر بن محمد المرموري	شريعة وأدب	1947	لا يزال
محمد علي دبوز	تاريخ، أدب	1948	1981

اسم الاستاذ	المادة المدرسة	البداية	النهاية
محمد بن بالحاج العائب	رياضيات	1956	لا يزال
بكير بن محمد الشيخ بالحاج	علوم شريعة	1956	لا يزال
محمد بن بابا الشيخ بالحاج	شريعة وفنونها	1962	لا يزال
صالح بن إبراهيم باجو	أدب وفنونه	1962	لا يزال
صالح بن عمر بليدي	فرنسية (مدير داخلية الحياة)		1971
محمد بن صالح ناصر (الدكتور)	أدب وفنونه	1966	1971
عبد الله بن سليمان حميد أوجانه	كيمياء وفيزياء	1970	1976
إبراهيم بن محمد علواني	فرنسية	1970	1981
الساسي بن يحياتن الجربي التونسي	إنجليزية	1972	1975
عمر بن حمو شريفي	تاريخ (مدير الدراسات)	1972	لا يزال
إبراهيم بن محمد تاعموت	لغة عربية	1973	1988
إبراهيم بن قاسم العنق	علوم	1976	لا يزال
عمر بن حمو سليمان بوعصبانه لقمان	تاريخ	1977	لا يزال
صالح بن أحمد حدبون	لغة عربية (مدير داخلية الحياة)	1978	لا يزال

اسم الاستاذ	المادة المدرسة	البداية	النهاية
إبراهيم بن بانوح مصباح	لغة عربية	1978	لا يزال
محمد بن قاسم ناصر بوحجام	لغة عربية	1979	1987
مصطفى بن بكير حشحوش	لغة عربية (قيم مكتبة)	1981	لا يزال
إبراهيم بن بكير أولاد باحماني	رياضيات	1981	1983
أحمد بن محمد بوقرينات	لغة عربية	1979	1987
بكير بن بالحاج واعلي	فرنسية، إنجليزية	1982	لا يزال
يوسف بن سليمان كرشوش	إنجليزية	1984	1988
محمد بن صالح خفياني قليل	تكنولوجيا	1988	لا يزال
سليمان بن الناصر الحاج عاشور	رياضيات	1985	لا يزال
الهادي بن محمد محمدي	إنجليزية	1986	لا يزال
صالح بن حموده حموده	لغة عربية	1986	1988
أحمد بن محمد خبزي	جغرافية	1987	لا يزال
نصر الدين بن محمد حشحوش	لغة عربية	1987	لا يزال
عبد الوهاب بن محمد حميد أوجانه	لغة عربية	1987	لا يزال
سعيد بن بكير حمودي	فلسفة	1987	لا يزال
عيسى بن محمد الشيخ بالحاج	نحو	1988	لا يزال
محمد بن صالح ابن زايط	قرآن	1965	1981
عمر بن بكير الشيخ بالحاج	قرآن	1984	لا يزال

اسم الاستاذ	المادة المدرسة	البداية	النهاية
أحمد بن محمد الحاج عاشور	(ناظر)	1970	لا يزال
محمد بن بكير قري	(مراقب)	1981	لا يزال
عدُّون بن الحاج الناصر جهلان	(مراقب)	1980	توفي في الميدان
محمد بن أحمد نجار	(مراقب)	1978	1980
مصطفى بن داود ابن صالح	(مراقب)	1986	1987
عبد الوهاب بن عبد الرحمن بسيس	(مراقب)	1987	توفي في الميدان
سليمان بن عمر سليمان زيتون	(كاتب)	1982	لا يزال

ملحوظة:

يستعين المعهد بمجموعة من الأساتذة الإضافيين من مختلف التخصصات.

محتويات الكتاب

مقدمة الطبعة الثانية 03
مقدمة الطبعة الأولى 05
تمهيد 14
الشيخ بالحاج بن كاسي 16
الشيخ الحاج امحمد بن الشيخ الحاج قاسم 17
الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى الابريكي 18
الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء 19
الشيخ الحاج إبراهيم بن كاسي 20
الشيخ الحاج عمر بن يحيى 20
الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى 22
الشيخ إبراهيم بن بكير حفار 24
الشيخ الطرابلسي 25
عودة إلى معهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى 26
بعد وفاة الشيخ الحاج عمر بن يحيى 28
الشيخ الحاج صالح بن عمر اليزجني (رحمه الله)
والمعركة بين القديم والجديد 29
الشيخ بيُّوض في الميدان 31

بوادر التصدع والنفور بين الطبقة الكبرى في المعهد 32
التلميذ عدُّون بن بالحاج في الميدان 33
كفاحه في سبيل الإصلاح 36
سفر المراقب إلى ميزاب 41
الخطوة الأولى في الإصلاح 43
الشيخ أبو اليقظان بالقرارة واتصال المراقب به 47
الدروس في المعهد والمسجد
وأثرها في الطلبة وعامة الناس 49
موقف الشيخ بيُّوض من الحالة 51
وفد من ميزاب إلى القرارة وأثره 51
الموقف الثاني للشيخ بيُّوض 52
الدروس ونظامها في هذه المعاهد 57
افتتاح المعهد 59
اجتماع حاسم في الجامع 60
نظام المعهد وبرامجه 61
تحديد الغاية من التعليم 62
تقسيم الطبقات 63
سير التعليم في المعهد 64
تطور المعهد 65

تطور آخر 67
انتقال المعهد إلى المسجد 68
حفظ القرآن في المعهد 74
الغرض من التعليم في المعهد 74
دروس الجامع 75
المؤسسات المتصلة بالمعهد 77
جمعية الشباب 77
جريدة الشباب 79
مكتبة الحياة 80
داخلية الحياة 82
جمعية قدماء التلاميذ 83
الكشافة 91
خاتمة 94
جدول بالأساتذة الذين درسوا في المعهد
منذ تأسيسه حتى سنة 1989م 97
قائمة المحتويات 101

بحمد الله تعالى